اَلْفجْرُ الصَّادِقُ

في

الرّدّ على منكري التَّوسّل و الكرامات و الخوارق

تأليف

علاّمة العراق و نابغته بالاجماع و الاتفاق

جميل افندي صدقي الزهاوي

و يليه

ضياء الصدور

و يليهما

النقول الشرعية

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول – تركيا

الهاتف: ٥٦ ٤٥ ٥٢٣ (٠٢١٢)

الفجر الصّادق

في

الرّدّ على منكري التَّوسّل و الكرامات و الخوارق

{تأليف}

علامة العراق و نابغته بالاجماع و الاتفاق من هو لكل فضل حاوى حضرة جميل

افندى صدقى الزهاوى

قال ذو الادب الوافى معروف افندى الرصافى

هذا كتاب فيه يتضح الهدى

علنا فتسطع للعقول حقائق

يا ظلمة الشبهات و الكذب انجلى

فلقد بدا للحق فجر صادق

(قال ملتزم طبع هذا الكتاب أجزل الله له عليه الثواب)

بســــــم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذى أيد الحق بالبراهين و الادلة و أدحض الباطل و جعل حجة أهله دارسة مضمحله. و الصلاة و السلام على سيدنا محمد المؤيد بقويم الدليل و على آله و صحبه الذين أزهق الله بهداهم الاباطيل (و بعد) فأقول و أنا المفتقر الى رحمة ربي. أحمد بن على المليجي الكتبي. قد اطلعت بحمد الله تعالى على ما فى هذا الكتاب. فوجدته جامعا من الادلة ما راق و من البراهين ما طاب و ذلك فى تأييد ما ذهب اليه أهل السنة و الجماعة. و تفنيد أباطيل من ضل عن طريقهم فأنكر التوسل و الشفاعة. فهنيئا لمن طالعه متدبرا لمعانيه. و اعترف بفضل مؤلفه و تمسك بما فيه

اذ كل ما فيه نور يستضاء به * و ليس ينكره و الله غير عمي

طوبى لمن بهداه نفسه ارتدعت * عن اعتقاد يقود النفس للندم

كتاب ادحض بما حواه من الادلة و البراهين القوية. معارضة من حاد عن السنة و تمسك بما عن له من الاضاليل الوهمية. كيف لا و هو تأليف نابغة هذا الزمان. من تفرد فيه على معاصريه بحسن البيان. رب الفضائل التي لا تضاهى. و الفواضل العديدة التي لا تتناهى. الاستاذ الذى هو لأحاسن الكمالات حاوى. سيدى الشيخ

(جميل افندي صدقي الزهاوى)

رجل الفصاحة و البلاغة من له * في عصره فضل على الاقران

أنعم به و بما حواه كتابه * من خير علم نافع و معان

فجزاه عن دين الرسول الهه * خير الجزاء بجنة الرضوان

هذا و اني أطلب ممن أمر العباد بدعائه. متوسلا اليه برسله الكرام و انبيائه أن ينفع بهذا الكتاب من وقف عليه. و عمل بما فيه و نظر بالاستحسان اليه و أن يكثر من أمثال مؤلفه الفاضل في جميع البقاع. لتستنير الامة بمعارفهم التي يحصل لها بها كمال الانتفاع. و أن يوفقنا لمثل هذا العمل الجليل. و لا يحرمنا عليه الثواب الجميل و الاجر الجزيل. يوم لا ينفع مال و لا بنون و لا صديق حميم. الاّ من عمل صالحا و أتى الله بقلب سليم. بجاه من ختم به الرسالة و نظر اليه بعين العناية سيدنا محمد عليه صلاة الله و سلامه فى البداية و النهاية.

كتبه احمد علي المليجي الكتبي بمصر

٩ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ. [١٩٠٥ م.]

الزّهاوي (جميل صدقي): (١٢٧٩-١٣٥٤ هـ.)

[١٨٦٣-١٩٣٦] من علماء العراق

درس العقائد الاسلامية في استنبول

تنقّل في وظائف الحكومة

بســـــم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي أعلى الحق و نصر أصحابه. و دحض الباطل و خذل أحزابه و الصلاة و السلام على من أنزل تعالى عليه كتابه. و جعله وسيلة لمن طلب غفرانه و رجا ثوابه. و شفيعا لمن فرط في جنبه فخاف عقابه. و على اله و صحبه الذين اتبعوا سننه و آدابه. و نابوا بعده في نصر هذا الدين منابه {و بعد} فقد قال النبي صلى الله

عليه و سلم (**ستفترق أمتي ثلاثا و سبعين فرقة كلها في النار الاّ واحدة**) فكان الأمر كما قال الصادق الأمين. عليه صلوات رب العالمين. فقد افترقت هذه الأمة فرقا شتى خالف أكثرها ما جاء به الله و رسوله و مرق غالبها عن سنن الدين. و حاد عن محجة اليقين. و لكن الفرقة الناجية هي التي اتبعت كتاب الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و ثبتت على الصراط السوي و المنهج الحنيفي. غير طائشة فيه و لا مارقة عنه و من آخر تلك الفرق الهالكة و أعداها للدين. و أشقها لعصا المسلمين. الفرقة الوهابية التي ما زالت منذ نشأتها الى هذا اليوم تدأب في الغى متلاعبة في الدين. خارجة وقتا بعد آخر على ولاة المسلمين لما تزعمه من أن من خالفها من الأمة الاسلامية واقع في شرك الشرك يجب عليها بزعمها الفاسد و معتقدها الباطل قتاله و الجهاد معه حتى يؤب الى بدعتها و هى كلما بغت ردت الدولة المؤيدة كيدها في نحرها. و أطأت شرر شرها. و ها هي اليوم قد رفعت راية عصيانها. و تجاهرت بوخيم عدوانها. حتى أرسلت الدولة العلية. أيدها رب البرية. كتيبة خضراء من مؤيدي عساكرها تدميرا لجماعة تلك الفئة الباغية و قطعا لدابرها.

و قد هممت مستعينا بالله تعالى و مستمدا من روحانية نبيه الأكرم أن أكتب في رسالتي هذه ما يكفل رد شبهها الباطلة و يضمن دفع اعتراضاتها الواهية و يكشف زيف عقائدها الزائغة. فيفتر عن بطلان دعاويها الفارغة. بايراد حجج بالغة. و بسط دلائل دامغة. تبيينا لجهالتها و كشفا لعورتها لكي يحذرها المسلمون. و لا يقع في حبالة اغوائها الجاهلون. فقد شاهدت في بغداد من لا يزال مروجا لهذا المذهب الباطل زاعما أنه من أهل العلم و هو لعمر الحق بمعزل عنه و أجدر به و بأشياعه المروجين لمذهبه أن رماهم الله تعالى بخزي الدنيا قبل خزي الآخرة تجاه عدائهم للدين المبين. و خليفة الرسول الامين ليكونوا عبرة للمعتبرين.

{يلدز}

سلام البرايا في كلاءة فرقد * (بيلدز) لا يغفو و لا يتغيب

و ان أمير المؤمنين لوابل * من الغوث منهل على الخلق صيب

شيد اللّهمّ ذلك القصر المنيف الذي هو عرين أسدك الغالب. و مقر خليفتك الذي أنطت به قضاء الحوائج و المطالب. ذلك القصر الذي هو المقصد الأسنى و الملجأ الاعلى قد قر فيه بالاجلال. و تبوّأه بالاقبال. امام الامة الاسلامية على الاطلاق. و حامى بيضة الملة الحنيفية في الآفاق. حجة الله البالغة في أرضه. القائم بأمر الدين في

أداء نفله و فرضه. لا زالت أوامره السنية شرعة للحق و منهاجا. و عزائمه الهمايونية في سماء المعالى سراجا وهاجا. و الامم على اختلافها داخلة في دين طاعته أفواجا. و احفظ اللّهمّ ذلك الحصن الحصين بواقية عنايتك. و احرسه بكل حراستك و حمايتك. و ارعه بوافي حرزك و كافي رعايتك. و أدمه للصادقين مصدر مثوبات. و للمارقين منشأ عقوبات. ذلك الملجأ الذي من وفد اليه بالصداقة عاد ناجحا مسرورا و من حاد عنه بالخيانة رجع خاسئا مدحورا. ألا و هو المتبوء الذي حل فيه بالاجلال حبيب الامة الاسلامية و طبيبها. و مسعدها الوحيد الذي اذا دعته لملة فهو مجيبها. أعني به مفخر آل عثمان الاقدس. و طراز عصابتها الانفس الخليفة الاعظم ابن أعاظم الخلفاء. الذين هم كواكب السعود في أرض حسدتها عليهم نجوم السماء. ملوك انتظموا في الزمان عقدا فريدا. فزينوا بمآثرهم الدينية نحرا منه و جيدا. من كل مجاهد حبرت يد التأريخ بالفخر أنباء فتوحاته. و غاز في الدين تموجت بالنصر على معاقل الاعداء خوافق راياته.

سما بك يا {عبد الحميد} أبوة * ثلاثون حضار الجلالة غيب

[خليفة المسلمين عبد الحميد خان الثاني توفى سنة ١٣٣٦ هـ. [١٩١٨ م] في استنبول]

قياصر احيانا خلائف تارة * خواقين طورا و الفخار المقلب

نجوم سعود الملك أقمار زهوه * لو ان النجوم الزهر يجمعها أب

هم الشمس لم تبرح سموات عزها * و فينا ضحاها و الشعاع المحبب

{الإمامة الكبرى}

الإمامة رياسة عامة في أمور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص رجح هذا التعريف جماعة من العلماء و اعترض عليه بأنه غير مانع لشموله النبوة و الاولى أن يقال هى خلافة الرسول عليه الصلاة و السلام في اقامة الدين و قضاء مصالح الدنيا و تدبير شؤنها بحيث يجب اتباعه على كافة الامة.

لا يشترط في الإمام كونه معصوما و لا علويا و لا قرشيا خلافا لبعض الفرق لنا أما عقلا فان الامامة على كلا تعريفيها المارين عامة فلا معنى لاختصاصها بقريش و الا كان اهتضاما لحق القسم الاكبر من المسلمين و قد جعلهم الاسلام اخوانا و ساوى بين افرادهم حتى في أحقر الامور فكيف في هذا الامر الجليل و المطلب الاهم

قال تعالى (**اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ** * الحجرات: ١٠) و هذه الاخوة دينية و دنيوية و هي لا تتم الاّ بتساويهم فيما لهم و ما عليهم من الحقوق و أيضا فمن الواضح البين أن الامامة خلافة و نيابة عن النبوة فكما ان النبوة عامة في البشر لم يخصها الله تعالى بصنف من الناس دون آخرين كذلك الامامة لا تختص بقوم من المسلمين دون غيرهم منهم الاّ أن الفرق كما تراه في التمثيل هو كون النبوة تعم كافة صنوف البشر و الإمامة تعم كافة أقوام المسلمين و أما نقلا فقوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اَطِيعُوا اللهَ وَ اَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اُولِي الْاَمْرِ مِنْكُمْ** * النساء: ٥٩) و المقصود بقوله أولى الامر هم الامراء و العلماء كما سنقرره فيما يأتي و الخطاب في قوله منكم عام لكافة المؤمنين بدليل قوله (**يا أيها الذين آمنوا**) و في هذه الآية سر آخر و هو أنه لما كان بين طاعة الله و طاعة رسوله فرق من حيث أن الله تعالى خالق و الرسول مخلوق أعاد سبحانه الامر فقال تعالى أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و في التأكيد المفهوم من هذا التكرار رمز الى هذا الفرق فكأنه جلّ جلاله قال أطيعوا رسولي كما تطيعوني و لا تنظروا الى الفرق بين الخالق و المخلوق و لكن لما لم يكن بين الرسول و أولى الأمر فرق من حيث المخلوقية و كان أولوا الامر خلفاء الرسول و نوابه على المسلمين كانت طاعتهم عين طاعته من كل وجه و لذلك لم يعد جلّ جلاله الامر فلم يقل و أطيعوا أولى الامر منكم كما قال و أطيعوا الرسول و من الادلة السمعية قوله عليه الصلاة و السلام (**السمع و الطاعة و لو عبدا حبشيا**) فانه يدل صريحا على ان الامام لا يجب ان يكون قرشيا قال المخالفون هذا الحديث فيمن أمره الامام على سرية أو ناحية و يجب حمله على هذا دفعا للتعارض بينه و بين الاجماع و لكونه مخالفا لحديث (**الائمة من قريش**) فنقول في الجواب أما كون الحديث فيمن أمره الامام على سرية أو ناحية فمخالف لما في ظاهر الحديث من العموم و أما الاجماع فغير مسلم كيف و قد تأمر في القرون الغابرة كثير من الخلفاء و لم يكونوا قرشيين بدون انكار احد من علماء وقتهم عليهم بل كان الاجماع حينئذ على امامتهم و أما قول المخالفين ان المقصود بالاجماع هو اجماع الصدر الاول من المسلمين فتحكم و تخصص بدون مخصص كيف لا و لو لم يكن الاجماع في كل عصر لما انحسم ما يحدث كل يوم من مهام الامور بحسب تجدد الزمان مما لم يصرح بحكمه في الكتاب و السنة.

و أما حديث الأئمة من قريش فلفظه على الاصح ان هذا الامر في قريش ما

أطاعوا الله و استقاموا كما ذكره محمّد بن اسحاق [محمد بن اسحاق امام الائمة توفى سنة ٣١١ هـ. [٩٢٣ م.] في نيشابور] في كتابه الكبير عند ذكره قصة سقيفة بني ساعدة ففي هذا الحديث قد أخبر صلى الله عليه و سلم أن الخلافة دائمة في قريش ما داموا على طاعة الله و استمروا على الإستقامة و مفهومه أنهم عند عدم استقامتهم ينقلها الله تعالى منهم الى من هم أحق بها فكان الامر كما أخبر صلى الله عليه و سلم باقيا في قريش ما استقاموا فلما استخفوا بأمر الدين و لم يستقيموا كما حدث في اواخر بني العباس نقله الله تعالى منهم الى بني عثمان لما أنهم كانوا أحق به من أولئك المستخفين و أحرص على صيانة دين الله و تنفيذ احكام شريعته و هذا من جملة معجزاته صلى الله عليه و سلم فان في الحديث اخبارا عن المستقبل بما تم فيه على أن حديث السمع و الطاعة و لو عبدا حبشيا مؤيد بما يدل عليه ظاهر الآية من العموم كما مر آنفا بخلاف هذا الحديث اذ ليس له من مؤيد.

{طاعة أولى الامر}

من كان يؤمن بالنبي محمّد * و بما أتى في مترل القرآن

علم اليقين بأنّه في دينه * وجبت عليه طاعة السلطان

لا يخفى على من تبصر و أمعن النظر و اتبع الأثر و أذعن للخبر ان نصب الامام واجب ليقوم بمصالح المسلمين كسد الثغور و تجهيز الجيوش و قهر المتغلبة و المتلصصة و قطاع الطريق و زجر منتهكي حرمات الله تعالى و قطع المنازعات الواقعة بين الخصوم و حفظ مصالح الناس الدينية و الدنيوية فلولا الامام الاعظم لما ازدجر الناس عن ركوب المظالم و لا نفذت احكامهم و لا اقيمت حدودهم و قد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات و قدموه على دفنه صلى الله عليه و سلم و لم تزل الناس في كل عصر على ذلك و يؤيده ايضا عدة أحاديث منها قوله عليه الصلاة و السلام (**من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**) و رب مارق يقول ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا فنجيب ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين و لا سبيل الى اقامته الاّ بوجود الامان على انفس الناس و أهليهم و أموالهم و منع تعدى بعضهم على بعض و ذلك لا يصح الاّ مع وجود امام يخافون عقابه. و يرجون ثوابه. و يرجعون اليه و يجتمعون عليه. فاذا لم يأمنوا على أنفسهم لم يمكنهم ان يتفرغوا لاقامة الدين الذى

اوجب الله تعالى عليهم اقامته و ما لا يتوصل الى الواجب الاّ به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب. و كذلك طاعته واجبة عقلا و نقلا أما عقلا فلأن في وجوده حكمة عظيمة و نعمة عميمة. يناط بها العباد. و تحفظ بها البلاد. و يقطع بها العناد و يقوم بها السداد مما أدناه حراسة الرعايا. و سياسة البرايا. و مثل الناس بلا سلطان مثل الحيتان في البحر يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم أمر و لم يستقم لهم معاش لأن الله سبحانه فطر الخلق على حب الانتصاف و عدم الانصاف. فالسلطان في الخليقة قائم برعاية عباد الله و حماية بلاد الله و حراسة دين الله و اقامة حدود الله و حفظ احكام الله و قمع اعداء الله و ان اقامته من حجج الله على وجوده و من دلائله على توحيده فكما لا يتوهم وجود العالم و انتظامه و ما فيه من دقائق الصنعة بغير خالق خلقه و عالم أتقنه و حكيم دبره كذلك لا يمكن استقامة أمور الناس بغير مدبر ينفرد بتدبيرها و ملك يقوم باعبائها و يلم شعثها و كما يستحيل وجود الهين في العالم كذلك لا يجوز وجود سلطانين في مملكة واحدة و ان مثله مثل الراعي و مثل الرعية مثل الغنم فاذا لم يكن للغنم راع يرعاها و يذود عنها عاثت بها الذئاب فاكلتها و ان الامام العادل خير من المطر الوابل و لما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن.

اذا تبينت هذا فقد اتضح لك ان طاعة السلطان واجبة بصريح العقل اذ لا يتم كونه سلطانا الاّ بالطاعة على أن انقياد الجماعة لواحد من نوعها يسوسها و ترجع اليه في تدبير شؤنها أمر يكاد يكون طبيعيا يوجد حتى في القبائل المتوحشة بل حتى في الحيوانات كالنحل و النمل لا تعيش بدون ملك تنقاد اليه و تتبعه في حلها و ترحالها و تبجله و تؤثره على نفسها فيما تصيب من الخير فما ظنك بالانسان العاقل المرتقى في مدارج الكمال و التقدم و ان مثل الاسلام و السلطان مثل العمود و الفسطاط فالفسطاط الاسلام و العمود السلطان و الاوتاد الناس و لا يصلح بعضها الاّ ببعض.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * و لا سراة اذا جهالهم سادوا

و البيت لا يبتني الاّ له عمد * و لا عماد اذا لم ترس اوتاد

و ان تجمع اوتاد و اعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا

و اما وجوب طاعته نقلا فحسبك ما امرنا به الله تعالى في محكم كتابه فقال جلّ من قائل اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و اولى الامر منكم قال ابوهريرة رضى الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية امرنا بطاعة الائمة و طاعتهم من طاعة الله و عصيانهم

من عصيان الله فالمقصود من اولى الامر هو امراء المسلمين كما يقتضيه كلام ابى هريرة رضى الله عنه اما ما ذهب اليه المخالفون من ان المقصود بهم هو العلماء فلا اعتداد به اذ هو مناف لما يدل عليه ما قبل هذه الآية الشريفة من قوله تعالى (**وَ اِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ اَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** * النساء: ٥٨) قال المخالفون ان الذين يحكمون بين الناس هم العلماء لا غير فنرد عليهم ان تقييد الحكم بالعدل صريح في انه ليس من الحكم في المسائل الشرعية التي يراجع فيها العلماء بل هو من الحكم في المظالم و الخصومات التي يراجع في حسمها الامراء و يؤيده ما في الآية من العموم المفهوم من قوله تعالى ان تحكموا و كذلك يؤيده العموم الذي في قوله بين الناس فان الامير يكون من رعيته المسلم و الذمي

و من الادلة النقلية على وجوب طاعة السلطان قوله صلى الله عليه و سلم (**من فارق الجماعة او خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية**) و قوله عليه الصلاة و السلام (**الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة**) قالوا لمن يا رسول الله قال لله و لرسوله و لاولى الامر منكم فنصح الامام و طاعته فرض واجب و امر لازم لا يتم الايمان الاّ به و لا يثبت الاسلام الاّ عليه و منها حديث انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**اسمعوا و اطيعوا و ان استعمل عليكم عبد حبشي**) و عند مسلم من حديث ام الحصين (**اسمعوا و اطيعوا و لو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله**) و لا يخفى ما في قوله عليه الصلاة و السلام عبد من المبالغة في الامر بطاعته و النهى عن شقاقه و مخالفته

{الخليقة الاعظم أيده الله}

سياسة مولانا الخليفة مخذم * يفل به الامر العسير و يحسم

لقد سعدت امنا بلاد وسيعة * بعدل امير المؤمنين تنظم

له دام محفوظ الجناب مآثر * اضاءت على الآفاق منهن انجم

و قد بعث الله الخليفة رحمة * الى الناس ان الله للناس يرحم

ففي عهده قد اصبح الملك عامرا * به الامن يزهو و الاماني تبسم

هو الملك البر الرؤف بأمة * انار هداها و الامام المعظم

يبيت لحفظ الملك يقظان ساهرا * حريصا عليه و الحوادث نوم

اقام به الديان اركان دينه * فليست على رغم العدى تتهدم

و صاغ النهى منه سوار عدالة * به ازدان من خود الحكومة معصم

و كم لامير المؤمنين مآثر * بهن صنوف الناس تدرى و تعلم

و يشهد حتى الاجنبي بفضله * فكيف يسئ الظن من هو مسلم

سلام على العهد الحميدى انه لاسعد عهد في الزمان و انعم

خلد الله ايام السلطنة الحميدية و البس دولتها احسن لبسها. و جدد لها انس السعادة حتى لا تخلو من انسها. و اعلى سماءها ان تسمو الهمم الى لمسها و جعل غدها افضل من يومها و يومها افضل من امسها. و نسخ بسلطانها امر الدول السالفة فلا يذكر ما اسسته ايام رومها و لا ايام فرسها. و اضاء بوجود ملكها الاعظم سماء الخلافة فجعله بمثابة شمسها

عبد الحميد الامام الحق ما ولدت * ام المعالي له مثلا و لا شبها

نفديه بالمال و الارواح من ملك * تحسن الملك في ايامه و زها

ذلل اللّهمّ لحضرته رقاب البلاد و العباد. و اقض لاحسانه و مهابته بملك القلوب و الاجساد. و اجعل ابواب جلالته مسجدا لكل مخبت و موردا لكل صاد. و زد ملكه على التناهي زيادة لا يأخذ نقصها في الازدياد. و اجر ولاءه في العبادات. مجرى النية من الاعمال و الطهور من الصلوات. و التسبيح من الاوراد. اللّهمّ ادمه و اجعل السماء ارضا لجنابه. و الكواكب اترابا للفائز بلثم ترابه. و اصرف الناس بين حكم سيفه و كتابه. و اقرن طاعته بالعمل الصالح الذي يتجمل صاحبه في الدنيا بزينة ثوبه و في الآخرة بحسن ثوابه

كم له ايده الله تعالى من مآثر فائقة. و بيض نعم متلاحقة. طوق بها اعناق تبعته الصادقة. مضيئة تحسبها شموسا شارقة. و من نقم اخزى بها الفرق المارقة و قهر بها الزنادقة. ارسلها عليهم صاعقة اثر صاعقة. فالالسن بحمده ناطقة. و الافئدة على ولائه متوافقة. و القلوب بعدله واثقة. فلو جمعت الاعصار في صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا. و فاز بسبق اوائلها و ان جاء آخرا. و ليس ذلك الاّ لحظوته بالدولة الحميدية التي كسته حبرا. و قلدته دررا. و دونت له في المحامد سيرا. و جعلت في كل ناحية من وجهه شمسا و قمرا

و ان امام المسلمين لوابل * به الارض تحيا و العباد تنعم

له من جلال الله عزّ و هيبة * و من نصره جندبه البغى يصدم

ملاذ الورى اكبر به من خليفة * به الملك ما شاء العلى يتقدم

ان من نبذ الحسد جانبا و نظر الي الملك نظر منصف رأى لمعالمه في هذا العصر الحميدي تقدما و لربوعه عمرانا لم يكن يحلم بهما السلف اما معالم الدين كالمساجد فقد ربا ما انشأه و شيده منها في كل بلد من بلاد المسلمين على ما جدد بنيانه بعد الاندراس باضعاف مضاعفة عدد التكايا و الرباطات التي يأوي اليها مشائخ الامة و زهادها و عبادها لاقامة ذكر الله آناء الليل و اطراف النهار و اجرى عليها و على اصحابها جرايات تضمن بقاءها و تكفل حفظ نظامها الى ما شاء الله تعالى

و من مآثره الحميدة ايده الله تعالى تأسيس المستشفيات و المارستانات يأوي اليها من عبثت ببدنه الامراض من الغرباء و الفقراء اصحاب العاهات من غير نظر الى اختلاف اديانهم و تابعيتهم فترى اذا قدم بلاده المحروسة غريب قد انهكه في سفرته مرض و حدّ من فضله ملجأ يلتجئ اليه و اطباء يداوونه و خداما يخدمونه حتى اذا صح جسده و عاد اليه ذاهب قوته رجع الى بلاده شاكرا. و لما شاهده من الاحسان ذاكرا. ذلك عدا ما شيده من الملاجئ للفقراء و المساكين و الارامل و العاجزين

و منها احياء معالم العلم بتوفير مدارسه و تشييدها. و تكثير مغارسه و تعديدها. فلا تخلو في عصره عصر العلم و العرفان بلدة من البلاد بل و لا قرية من القرى عن وجود مدارس ينتابها المتعلمون و يتردد اليها المعلمون فيقتبسون من نبراس العلم ما تتنور به عقولهم و تنمحى به ظلمات جهلهم و يكتسبون ما يدربهم في أمر المعاش فيتخرجون منها رجالا أكفاء قد حنكتهم يد العلم بما يؤهلهم للجهاد في ميدان هذه الحياة و كانوا قد دخلوا اليها أطفالا جاهلين لا يحسنون قيلا و لا يعلمون فتيلا

و منها توسيع نطاق التجارة بتكثير مواردها و توفير مصادرها و تعزيز نظامها المتكفل بصيانة حقوقها و فتح أبواب الصناعة بانشاء المعامل و استجلاب ما تتوقف عليه من الآلات و الادوات و المهمات و تعميم الزراعة بترغيب أهليها و تعليمهم طرقها الجديدة و احياء الموات من أرضها و اكثار اخراجاتها الى البلاد الاجنبية فوفرت بذلك ثروة الامة و زاد غناها و تأمين الطرق بقطع دابر أصحاب الشقاء الذين كانوا قبل عهد خلافته يعيثون في السبل فيستلبون أموال العابرين و ينتهبون بضائع المتاجرين و ذخائر المزارعين

و منها اعداد العدد لكفاح المعادين بتشييد المعاقل الرصينة و الحصون الحصينة و تجهيزها بمهولات المدافع الجسيمة و تنظيم الجنود و تكثير عددهم و توفير مهماتهم

من البنادق التي هى من الطراز الاخير مما يجدر ان يعبر عنها بمناجل الارواح تحصدها حصدا و بتأمين نفقاتهم و أرزاقهم في حالتي الحضر و السفر و انشاء البوارج البحرية و الدوارع الحربية و تكثير عددها و اكمال عددها و تجهيزها بالمدافع الضخمة مما زاد الاسطول العثماني قوة و مناعة لم تكونا في الحسبان و بالجملة فقد بلغت اليوم قوة الدولة المؤيدة العثمانية درجة شهدت لها بالتقدم أوربا و خافت سطوتها كبار الدول حتى أنها لتستطيع ان تجهز الى الحرب ما ينيف على المليونين من العساكر الباسلة المدربة التي تعطي الحرب حقها فتعرف كيف تزحف الى حومة الوغى و كيف تدير رحاها. و تسعر لظاها و تقتحم أهوالها. و تصرف أحوالها. فترجع و الظفر من اتباعها. و النصر من أشياعها. مكللة بالنجاح. فائزة بالفلاح

و منها مد الخطوط الحديدية في كثير من ارجاء مملكته لا سيما الخط الحميدي الحجازي الذي شرع بمده الى بيت الله الحرام على نفقة حكومته السنية دون ان يكون فيه للاجانب حصة أو سهم تسهيلا به لأداء الحج الذي هو أحد الاركان الاسلامية و اراحة لوفد الله تعالى مما كانوا يكابدونه في طريقهم اليه من مشاق السفر و متاعبه ركوبا على ظهور الجمال التي هى أراجيح الراكبين و تقصيرا لمدة السفر عليهم و تقريبا لمسافته و انها لعمر الحق مأثرة كبرى خصه الله تعالى بالتوفيق لها دون غيره من الملوك السالفين

حسبه سكة الحجاز فخارا * انها لم تكن زمان امام

سكة سهلت لنا حج بيت * هو فرض في شرعة الاسلام

و ناهيك به ملكا فاقت فراسته الاولين و أعجزت سياسته السلة الآخرين حيث نراه حرسه الله سائرا مع الدول الغربية الكبرى. و الحكومات الاجنبية الصغرى. على صراط الولاء .و مماشيا لهم في سبيل الوداد و الصفاء مع محافظته صانه الله على حقوق دولته العلية. و مصالح سلطنته السنية. و صوالح رعاياه. المستظلين بظل حماه. و سهره على ما به صيانة الشرف العثماني. و تأبيد السودد الخاقاني. حتى اجتمعت ملوك الارض و قياصرتها على الاقرار بوافر حكمته و طول باعه في سياسته مراجعين ذاته المقدسة في حل المعضلات و فك المشكلات الى غير ذلك من المميزات التي هى السبب الوحيد لاعلاء السطوة العثمانية بين تلك الممالك و الحكومات

لسلطاننا عبد الحميد سياسة * طريقتها في المعضلات هي المثلى

هو الفاتح المنصور و الملك الذي * أعزّ به الله الخلافة و العدلا

فيا أيها المولى الذي لكماله * قد اختاره الله العزيز له ظلا

سللت لنصر الدين سيف عزيمة * فللت به ما لم يكن فله سهلا

خزى معاديه

و ان أمير المؤمنين لصارم * به يقهر الله البغاة و يرغم

و ان الذي بغيا يعاديه لم يكد * من الخزي في الدارين ينجو و يسلم

ان من الخصائص التي خص الله تعالى بها خليفته في العباد. و ظله الممدود على البلاد. تأييده على أعدائه المارقين. و اضداده خونة الدين. بغمسهم في خزي الدنيا قبل خزي الآخرة و جعلهم مخذولين كلّما أرادوا كيدا رد الله تعالى كيدهم في نحورهم و فضحهم بين الامم بما ألبسهم من العار. و كساهم من الشنّار. (**يُرِيدُونَ اَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِاَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللهُ اِلاَّ اَنْ يُتِمَّ نُورَهُ** * التوبة: ٣٢)

ها ان في الفرقة المارقة الوهابية لعبرة لأولي الالباب فانها لما سول لها الشيطان باستحواذ. عليها حادت عن الحق و عدلت عن الصراط السوى و زاغت عن طاعة هذه الدولة المؤيدة بالنصر الالهي حتى خذلها الله تعالى و أخذها بعذابه الاليم أخذ عزيز مقتدر (**وَ كَذَلِكَ اَخْذُ رَبِّكَ اِذَآ اَخَذَ الْقُرَى وَ هِيَ ظَالِمَةٌ اِنَّ اَخْذَهُ اَلِيمٌ شَدِيدٌ** * هود: ١٠٢)

سنذكر انشاء الله تعالى فيما سنكتبه من المباحث نشأة هذه الفرقة المارقة و خلاصة ما تمذهبت به و ادخلته في الدين من الاباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان. و لم يقم عليها دليل و لا برهان. مع الرد عليها بما يدحض فاسد حجتها. و يبين اعوجاج محجتها. فقد نشأ اليوم في بغداد بعض المؤيدين لها من الذين اضلهم الله تعالى حتى استحبوا العمى و اشتروا الضلالة بالهدى جاعلين تأييدهم ذلك المذهب الباطل. و الرأي العاطل ذريعة للرياسة على قوم كالانعام بل هم أضل سبيلا و قد رمى الله تعالى هؤلاء المؤيدين لها بصنوف العاهات. و أنواع الشناعات. و فضحهم بالخزي في الدنيا قبل الآخرة ليكونوا عبرة للمعتبرين و تبصرة للمتفكرين. و لا غرو فان من يمرق عن الجماعة نابذا وراءه طاعة خليفة الله تعالى في أرضه و يمس أحكام دين الله المبين و شريعة رسوله الامين بيد التحريف و التغيير لجدير ان تحل عليه الرزايا و تحيط به البلايا و يصبح مثلة للاقوام. و ضحكة للانام. بما يصمه الله تعالى به من الخزي الشنيع. و يسمه به من العار الفظيع. عدا ما اعده الله تعالى له من خزي الآخرة و عذابها الاليم و

لعذاب الآخرة اشد و ابقى

الوهابية و منشأها

الوهابية فرقة منسوبة الى محمد بن عبد الوهاب و ابتداء ظهور محمد هذا كان سنة ١١٤٣ و انما اشتهر امره بعد الخمسين فأظهر عقيدته الزائغة في نجد و ساعده على اظهارها محمد بن سعود امير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب مجبرا اهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا فتابعوه و ما زال ينخدع له في هذا الامر حي بعد حي من احياء العرب حتى عمت فتنته و كبرت شهرته و استفحل أمره فخافته البادية و كان يقول للناس ما ادعوكم الاّ الى التوحيد و ترك الشرك بالله تعالى في عبادته و كانوا يمشون خلفه حيثما مشى حتى اتسع له الملك

أما ولادته فقد كانت سنة ١١١١ و توفى سنة ١٢٠٧ و كان في ابتداء أمره من طلبة العلم يتردد على مكة و المدينة لاخذه عن علمائهما و ممن أخذ عنه في المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي و الشيخ محمد حياة السندي و كان الشيخان المذكوران و غيرهما من المشايخ الذين أخذ عنهم. يتفرسون فيه الغواية و الالحاد و يقولون سيضل الله تعالى هذا و يضل به من أشقاه من عباده فكان الامر كذلك و كذا كان ابوه عبد الوهاب و هو من العلماء الصالحين يتفرس فيه الالحاد و يحذر الناس منه و كذلك اخوه الشيخ سليمان حتى أنه الف كتابا في الرد على ما أحدثه من البدع و العقائد الزائغة و كان محمد هذا بادئ بدئه كما ذكره بعض كبار المؤلفين مولعا بمطالعة اخبار من ادعى النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب و سجاح و الاسود العنسي و طليحة الاسدي و أضرابهم فكان يضمر في نفسه دعوى النبوة الاّ أنه لم يتمكن من اظهارها و كان يسمى جماعته من أهل بلده الانصار و يسمى متابعيه من الخارج المهاجرين و كان يأمر من حج حجة الاسلام قبل اتباعه أن يحج ثانية قائلا ان حجتك الأولى غير مقبولة لانك حججتها و أنت مشرك و يقول لمن اراد أن يدخل في دينه اشهد على نفسك انك كنت كافرا و اشهد على والديك انهما ماتا كافرين و اشهد على فلان و فلان و يسمى له جماعة من اكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهد بذلك قبله و الاّ امر بقتله و كان يصرح بتكفير الامة منذ ستمائة سنة و يكفر كل من لا يتبعه و ان كان من أتقى المسلمين و يسميهم مشركين و يستحل دماءهم و أموالهم و يثبت الايمان لمن اتبعه و ان كان من أفسق الناس و كان عليه ما يستحق من

الله ينتقص النبي صلى الله عليه و سلم كثيرا بعبارات مختلفة منها قوله فيه انه (طارش) و هو في لغة العامة بمعنى الشخص الذي يرسله أحد الى غيره و العوام لا يستعملون هذه الكلمة فيمن له حرمة عندهم و منها قوله اني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا و كذا من الكذب الى غير ذلك من الالفاظ الاستخفافية حتى أن بعض اتباعه يقول بحضرته ان عصاى هذه خير من محمد لاني انتفع بها و محمد قد مات فلم يبق فيه نفع و هو يرضى بكلامه و هذا كما تعلم كفر في المذاهب الاربعة و منها أنه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و ينهى عن ذكرها ليلة الجمعة و عن الجهر بها على المنابر و يعاقب من يفعل ذلك عقابا شديدا حتى انه قتل رجلا أعمى مؤذنا لم ينته عما أمره بتركه من ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم بعد الأذان و يلبس على أتباعه قائلا ان ذلك كله محافظة على التوحيد و كان قد أحرق كثيرا من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم كدلائل الخيرات و غيرها و كذلك أحرق كثيرا من كتب الفقه و التفسير و الحديث مما هو مخالف لاباطيله و كان يأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه

تمسك ابن عبد الوهاب في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين و قد روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين و في رواية أخرى عن ابن عمر أنه صلى الله عليه و سلم قال (**أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه**) فهذا و ما قبله صادق على ابن عبد الوهاب و اتباعه و يظهر من أقواله و افعاله أنه كان يدعي أن ما أتى به دين جديد و لذلك لم يقبل من دين النبي صلى الله عليه و سلم الاّ القرآن و قبوله اياه انما كان ظاهرا فقط كيلا يعلم الناس حقيقة أمره و الدليل على ذلك أنه هو و اتباعه كانوا يؤوّلون القرآن بحسب أهوائهم لا بحسب ما فسره النبى صلى الله عليه و سلم و اصحابه و السلف الصالح و ائمة التفسير و ما كان يقول باحاديث النبي و أقاويل الصحابة و التابعين و الائمة المجتهدين. و لا بما استنبطه الائمة من الكتاب و السنة و لا يأخذ بالاجماع و لا القياس الصحيح و كان يدعي الانتساب الى مذهب الامام احمد كذبا و تسترا و قد رد عليه أضاليله كثير من علماء الحنابلة و ألفوا في ذلك رسائل عديدة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الف رسالة في الرد عليه كما ذكرناه و كان يقول لعماله اجتهدوا بحسب نظركم و احكموا بما ترونه مناسبا للدين

و لا تلتفتوا لهذه الكتب المتداولة فان فيها الحق و الباطل و قتل كثيرا من العلماء و الصالحين لأنهم لم يوافقوه على ما ابتدعه

قال العلامة السيد العلوي الحداد ان المحقق عندنا من أقواله و أفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لما أنه يستحل امورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ و هو مع ذلك ينتقص الانبياء و المرسلين. و الاولياء و الصالحين. و انتقاصهم عمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة

ثم انه صنف لابن سعود رسالة سماها (كشف الشبهات عن خالق الارض و السموات) كفر فيها جميع المسلمين و زعم أن الناس كفار منذ ستمائة سنة و حمل الآيات التي نزلت في الكفار من قريش على اتقياء الامة و اتخذ ابن سعود ما يقوله وسيلة لاتساع الملك و انقياد الأعراب له فصار ابن عبد الوهاب يدعو الناس الى الدين و يثبت في قلوبهم أن جميع من هو تحت السماء. مشرك بلا مراء. و من قتل مشركا فقد وجبت له الجنة و كان ابن سعود يمتثل كلما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان ابن عبد الوهاب في قومه كالنبي في امته. لا يتركون شيئا مما يقوله و لا يفعلون شيئا الاّ بأمره و يعظمونه غاية التعظيم. و يبجلونه غاية التبجيل و ما زالت احياء العرب و قبائلها تطيعه حتى اتسع بذلك ملك ابن سعود و ملك اولاده بعده و حاربه الشريف غالب (رحمه الله) خمس عشرة سنة حتى عجز عن حربه و لم يبق احد الاّ صار من حزبه و دخل مكة بالصلح سنة الف و مائتين و عشرين و استمر فيها سبع سنين الى أن جهزت الدولة العلية عساكرها المنصورة عليه و وجهت الامر الى وزيرها المفخم محمد على باشا صاحب مصر فاتاه بجيوش باسلة و طهر الارض منه و من اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ١٢٣٣ فافنى و أباد من بقى منهم

و من قبائح ابن عبد الوهاب الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء و زاروه صلى الله عليه و سلم فلما رجعوا مرّوا على ابن عبد الوهاب في الدرعية فامر بحلق لحاهم و اركبهم مقلوبين الى الأحساء

قد اخبر النبي صلى الله عليه و سلم عن هؤلاء الخوارج في احاديث كثيرة فكانت من اعلام نبوّته عليه الصلاة و السلام لان فيها اخبارا بالغيب فمنها قوله عليه الصلاة و السلام (**الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا**) و اشار الى المشرق و قوله صلى الله

عليه و سلم (**يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه «يعني موضع الوتر» سيماهم التحليق**) و في رواية زيادة على ذلك (**هم شر الخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله و ليسوا منه في شئ**) و قوله صلى الله عليه و سلم (**اللّهمّ بارك لنا في شامنا اللّهمّ بارك لنا في يمننا**) قالوا يا رسول الله و في نجدنا قال (**هناك الزلازل و الفتن و بها يطلع قرن الشيطان**) و قوله عليه الصلاة و السلام (**يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيخ الدجال سيماهم التحليق**) و في قوله عليه الصلاة و السلام سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه و لا يتركونه اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه و لم يقع مثل ذلك من احدى الفرق الضالة التي مضت قبلهم و كان ابن عبد الوهاب يأمر بحلق رؤس النساء ايضا ممن اتبعنه و في مرة أمر امرأة دخلت في دينه أن تحلق رأسها فقالت له لو أمرت بحلق اللحى للرجال لساغ أن تأمر بحلق رؤس النساء فان شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فلم يجد لها جوابا و من الاحاديث قوله صلى الله عليه و سلم (**يخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام**) و قوله عليه الصلاة و السلام (**سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته**) الى غير ذلك من الاحاديث

و من قبائح ابن عبد الوهاب احراقه كثيرا من كتب العلم و قتله كثيرا من العلماء و خواص الناس و عوامهم. و استباحة دمائهم و اموالهم. و نبشه لقبور الاولياء و قد أمر في الاحساء أن تجعل بعض قبورهم محلا لقضاء الحاجة و منع الناس من قراءة دلائل الخيرات و من الرواتب و الاذكار و من قراءة المولد الشريف و من الصلاة على النبي عليه الصلاة و السلام في المنائر بعد الأذان و قتل من فعل ذلك و منع الدعاء بعد الصلاة و كان يصرح بكفر المتوسل بالانبياء. و الملائكة و الاولياء. و يزعم أن من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر

و من اعظم قبائح الوهابية اتباع ابن عبد الوهاب قتلهم الناس حين دخلوا الطائف قتلا عاما حتى استأصلوا الكبير و الصغير. و اودوا بالمأمور و الامير. و الشريف و الوضيع. و صاروا يذبحون على صدر الام طفلها الرضيع و وجدوا جماعة

يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم و لما أبادوا من في البيوت جميعا خرجوا الى الحوانيت و المساجد و قتلوا من فيها و قتلوا الرجل في المسجد و هو راكع أو ساجد حتى افنوا المسلمين في ذلك البلد و لم يبق فيه الاّ قدر نيف و عشرين رجلا تمنعوا في بيت الفتيّ بالرصاص ان يصلوهم و جماعة في بيت الفعر قدر المائتين و سبعين قاتلوهم يومهم ثم قاتلوهم في اليوم الثاني و الثالث حتى راسلوهم بالامان مكرا و خديعة فلما دخلوا عليهم و اخذوا منهم السلاح قتلوهم جميعا و اخرجو غيرهم ايضا بالامان و العهود الى وادي (وج) و تركوهم هنالك في البرد و الثلج حفاة عراة مكشوفي السوآت هم و نساؤهم من مخدرات المسلمين و نهبوا الاموال و النقود و الاثاث و طرحوا الكتب على البطاح و في الازقة و الاسواق تعصف بها الرياح و كان فيها كثير من المصاحف و من نسخ البخاري و مسلم و بقية كتب الحديث و الفقه و غير ذلك تبلغ الوفًا مؤلفة فمكثت هذه الكتب اياما و هم يطئونها بأرجلهم و لا يستطيع احد ان يرفع منها ورقة ثم اخربوا البيوت و جعلوها قاعا صفصفا و كان ذلك سنة ١٢١٧

الوهابية و حديث بغيها

ان زعيم الوهابية اليوم هو عبد الرحمن بن فيصل من اولاد محمد بن سعود الباغي الذي حاد عن طاعة الخلافة العظمى الاسلامية سنة ١٢٠٥ و استمرت له وقائع مع الشريف غالب الى سنة ١٢٢٠ حتى اذا عجز الشريف عن حربه جهزت الدولة العلية عليه عساكرها و ناطت الامر بوزيرها المرحوم محمد على باشا صاحب مصر و ولده المرحوم ابراهيم باشا فابادهم سنة ١٢٣٣ كما المعنا اليه في مقالتنا السابقة مما هو مسطور في كتب التاريخ و عبد الرحمن هذا كان قبل ثلاثين سنة تقريبا اميرا على الرياض فلما استولى عليها المرحوم امير نجد محمد بن الرشيد هرب عبد الرحمن بن سعود الى بعض السواحل البحرية و اخيرا التجأ الى الكويت و بقى هناك يعيش في فقر مدقع لا يرحمه احد الى ان عطفت عليه الدولة العلية و أجرت له جراية ازالت ما كان فيه من الفقر و صار يعيش في ارغد عيش على نفقتها في تلك الديار

لما توفى محمد بن الرشيد رحمه الله و تأمر مكانه ابن اخيه امير نجد الحالي عبد العزيز بن متعب بن الرشيد اتفق أن حدثت واقعة بين عبد العزيز المشار اليه و بين شيخ الكويت مبارك بن صباح و ذلك ان مباركا المذكور كان قد قتل أخاه محمد بن صباح الذي كان حينئذ قائمقاما من قبل الدولة العلية في الكويت و قتل أخا له آخر

ايضا و غصب اموالا طائلة من اولادهما الذين فرّوا من عقابه ثم ان خال اولئك الاولاد و هو يوسف بن ابراهيم إلتجأ الى الامير عبد العزيز بن الرشيد منتصرا بحضرته على مبارك المذكور لكي يسترد منه ما اغتصبه من أموال ولد اخته فجرت بينه و بين ابن صباح في ذلك مخابرات آلت اخيرا الى أن جهز كل من الطرفين جيشا على الآخر فتصادما في موقع يقال له الطرفية فكانت الدائرة على ابن صباح فقتل من جيشه زهاء اربعة آلاف مقاتل اما مبارك فقد نجا هاربا بنفسه الى الكويت خاسئا مدحورا

لم تمض مدة ان تمرد ابن صباح محتميا ببعض الاجانب فساعدوه بالمال و بالسلاح فاخذ يقوى عبد الرحمن المذكور على الامير ابن الرشيد و اتفق أن كان الامير ابن الرشيد اذ ذاك مشغولا ببعض الغزوات في اماكن بعيدة عن الرياض فانتهزها ابن صباح فرصة فجهز جيشا تحت امرة عبد العزيز بن عبد الرحمن المذكور و ارسله الى الرياض للاستيلاء عليها فاحتلها عنوة و حصنها و احكم سورها فلما بلغ الخبر الامير ابن الرشيد عاد اليها فحاصرها مليا لاجل استرجاعها حتى امتد حصارها سنة ثم حدث له في بعض قبائله البعيدة ما صرفه عن حصارها فتركها و انتهز ابن سعود هذه الحادثة فرصة ايضا فاخرج من الرياض جيشا مجهزا بسلاح الاجانب فاستولى به على عنيزة و بريدة و ما يليهما من بلاد القصيم

و لما رأت الدولة العلية اعتداء عبد الرحمن هذا و بغيه و تطاوله على صادقها و مخلصها الامير بن الرشيد و نزوع عبد الرحمن الى الاجانب ارسلت كتيبة من عساكرها المنصورة صحبة الامير ابن الرشيد لقطع دابر اولئك المارقين و قمع بغيهم و اعتدائهم و اطفاء شرر فتنتهم المستطير فصادمت العساكر المنصورة الجماعة الباغية حزب ابن سعود قرب بلد البكرية من بلاد القصيم فوقعت بين الجمعين ملحمة كبرى انجلت عن هزيمة الفئة الباغية جماعة ابن سعود و امتلاك العساكر احد عشر راية من راياتهم و قد كان و الحق يقال لحضرة الامير ابن الرشيد و جيشه في هذه الملحمة خدمة في قمع الاعداء تشكر. و بسالة يخلد ذكرها و لا تنكر. و اما المنهزمون فهم اليوم متحصنون ببعض تلك البلاد و العساكر المنصورة مع جيوش الامير ابن الرشيد محدقون بهم. و مجدون في تنكيلهم. و كبح جماحهم. وفقهم الله تعالى لذلك

عقيدة الوهابية

لما رأى ابن عبد الوهاب أن قاطني بلاد نجد بعيدون عن عالم الحضارة لم

يزالوا على البساطة و السذاجة في الفطرة قد ساد عليهم الجهل حتى لم يبق للعلوم العقلية عندهم مكانة و لا رواج وجد هنالك من قلوبهم ما هو صالح لأن يزرع فيه بذور الفساد مما كانت نفسه تترع اليه و تمنيه به من قديم الزمان و هو الحصول على رياسة عظيمة ينالها اسم الدين اذ كان لحاه الله يعتقد أن النبوات لم تكن الاّ رياسة وصل اليها دهاة البشر حين ساعدتهم الظروف عليها بين ظهراني قوم جاهلين ليس لهم من العلم نصيب و حيث أن الله تعالى قد أرتج باب النبوة بعد خاتم الانبياء سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم لم يجد للحصول على أمنيته طريقا بين أولئك الانعام الاّ أن يدعى أنه مجدد في الدين مجتهد في أحكامه فحمله هذا الامر أن كفر جميع طوائف المسلمين و جعلهم مشركين بل اسوأ حالا و أشد كفرا و ضلالا. فعمد الى الآيات القرآنية النازلة في المشركين فجعلها عامة شاملة لجميع المسلمين الذين يزورون قبر نبيهم صلى الله عليه و سلم و يستشفعون به الى ربهم نابذا وراء ظهره كل ما خالف أمانيه الباطلة و سولته له نفسه الامارة بالسوء من أحاديث سيد المرسلين. و أقوال أئمة الدين و المجتهدين. حتى أنه لما رأى الاجماع مصادما لما ابتدعه أنكره من أصله و قال لا أرى للناس بعد كتاب الله الذي جمع فأوعى كل رطب و يابس و تغافل عما جاء به كتاب الله من قوله تعالى (**وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سآءَتْ مَصِيرًا** * النساء: ١١٥) على أنه لم يأخذ من كتاب الله الاّ ما نزل في المشركين من الايات فاولها ظلما منه و تجاسرا على الله تأويلا يسهل له الحصول على أمنيته و ذلك بأن حملها على المسلمين فكفرهم منذ ستمائة عام و هدر دماءهم و أباح أموالهم و جعل بلادهم بلاد حرب و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم في حديث جبريل كما في الصحيحين (**الإسلام أن تشهد أن لا اله الاّ الله و أنّ محمدا رسول الله**) الحديث و في الصحيحين من حديث عمر (**بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الاّ الله و انّ محمدا عبده و رسوله**) الحديث و قوله صلى الله عليه و سلم لوفد عبد القيس (**آمركم بالايمان بالله وحده أتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة أن لا اله الاّ الله و أنّ محمدا رسول الله**) الحديث كما في الصحيحين و قوله صلى الله عليه و سلم (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الاّ الله**) الحديث و قوله صلى الله عليه و سلم (**كفوا عن أهل لا اله الاّ الله**) لكن ابن عبد الوهاب و من تابعه خالفوا هذه الاحاديث و كفروا كل من قال لا اله الاّ الله محمد رسول الله ممن لم يكن على

شاكلتهم زعما منهم أن من قالها و هو يتوسل بنبي أو يدعو غائبا أو ميتا أو ينذر له كان كأنه اعتقد خلافها و ما مأربه في ذلك الاّ ترويج مدعاه الكاسد و نحن سنبين فيما يأتي ان شاء الله تعالى بطلانه و نظهر للقارئ زيفه

و من عجيب أمره أنه يموه على الناس بدعوى توحيد الله و تنزيهه قائلا ان التوسل بغير الله شرك مع أنه يفصح عن استواء الله تعالى على العرش بمثل الجلوس عليه و يثبت له اليد و الوجه و الجهة و يقول بصحة الاشارة اليه في السماء و يدعي أن نزوله الى السماء الدنيا حقيقي فيجسمه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فاين تنزيه الله تعالى بعد جعله سبحانه جسما يشترك فيه معه حتى أخس الجمادات و في ذلك من النقص و الازراء بالوهيته سبحانه ما هو منزه عنه

و من عظيم سفهه أنه لما رأى العقل مخالفا لجميع ما يدعيه خلع الحياء فعطل العقل و لم يحكمه في شئ و تصدى الى جعل الناس كالبهائم في أمورهم الدينية و حظر عليهم استعمال العقل فيها مع أنه لا منافاة بين العقل و الدين بل كلما ارتقت العقول في مدارج الكمال ظهرت لها مزايا الدين و تجلت محاسنه و هل ترى في هذا العصر عصر ارتقاء العقل أشنع من جعله محقرا بوضع الحجر عليه على أن مدار الدين و التكليف باحكامه ليس الاّ على العقل الذي سقط التكليف عمن عدمه و قد خاطب الله تعالى عباده في مواضع كثيرة من كتابه العزيز بقوله (**يا أولى الالباب**) تنبيها على أن معرفة حقائق الدين انما هى من شأن أولى العقول

قد آن لنا أن نذكر ههنا خلاصة ما تمذهبت به الفرقة المارقة الوهابية من الاباطيل ثم نتكلم عليها في المباحث الآتية بما يردها و يدحض حجتها فنقول. قد اشتملت عقيدتهم الباطلة على أمور (الاول) اثبات الوجه و اليد و الجهة للباري سبحانه و جعله جسما ينزل و يصعد (الثاني) تقديم النقل على العقل و عدم جواز الرجوع اليه في الامور الدينية (الثالث) نفي الاجماع و انكاره (الرابع) نفي القياس (الخامس) عدم جواز التقليد للمجتهدين من أئمة الدين و تكفير من قلدهم (السادس) تكفيرهم لكل من خالفهم من المسلمين (السابع) النهي عن التوسل الى الله تعالى بالرسول أو بغيره من الاولياء و الصالحين (الثامن) تحريم زيارة قبور الانبياء و الصالحين (التاسع) تكفير من حلف بغير الله و عده مشركا (العاشر) تكفير من نذر لغير الله أو ذبح عند مراقد الانبياء و الصالحين

تجسيم الوهابية

إنّ الوهابية التي كفرت من زار قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم متوسلا به الى الله تعالى و عدت ذلك شركا في ألوهيته و قالت بوجوب تتريهه تعالى عن ذلك قد خبطت كل الخبط في تتريهه تعالى حيث أبت الاّ جعل استوائه سبحانه ثبوتا على عرشه و استقرارًا و علوا فوقه و أثبتت له الوجه و اليدين و بعضته سبحانه فجعلته ماسكا بالسموات على أصبع و الارض على أصبع و الشجر على أصبع و الملك على أصبع ثم أثبتت له تعالى الجهة فقالت هو فوق السموات ثابت على العرش يشار اليه بالاصابع الى فوق اشارة حسية و يترل الى السماء الدنيا و يصعد حتى قال بعضهم

لئن كان تجسيما ثبوت استوائه * على عرشه اني اذا لمجسم

و ان كان تشبيها ثبوت صفاته * فعن ذلك التشبيه لا أتلعثم

و ان كان تتريها جحود استوائه * و أوصافه أو كونه يتكلم

فمن ذلك التتريه نزهت ربنا * بتوفيقه و الله أعلى و أعلم

نحن ننقل لك ههنا بعض عباراتهم التي وردت في هذا الشان مسطورة في كتاب (الدين الخالص) قال صاحبه ان اردتم بالجسم المركب من المادة و الصورة أو المركب من الجواهر الفردة فهذا منفى عن الله تعالى قطعا و الصواب نفيه عن الممكنات أيضا فليس الجسم المخلوق مركبا من هذه اهــ. فأقول انظر الى ما في هذه العبارة من الخبط فانه أنكر فيها وجود جسم بالمعنى الذي ذكره سواء كان واجبا أو ممكنا و الظاهر أن غرضه من هذا الانكار هو التوصل الى نفي الجسمية التي تلزم من معتقده في الله تعالى فلئلا يقال انه شبه الخالق بمخلوقه نفي الجسمية بالمعني المذكور عن مخلوقه ايضا و أنت تعرف أن الجسم ان لم يكن مركبا من المادة و الصورة فلا محيص أن يكون مركبا من الجواهر الفردة و لكن الجهل ليس له حد ينتهى اليه فلا غرو ان وصل به الى هذا الخبط الشنيع فليته بين بعد نفيه تركب الجسم مما ذكر من أى شئ تتركب الاجسام و لا اعتقد أنه يذهب به طيشه أن يقول بتركبها من اجزاء تتجزى الى غير النهاية فان ذلك مما انكره علماء الكلام قاطبة و نفته العلوم الحاضرة و قامت البراهين على بطلانه و لولا أن في ذكرها خروجا عن الصدد لبسطناها. ثم قال و ان اردتم بالجسم ما يوصف بالصفات و يرى بالابصار و يتكلم و يكلم و يسمع و يبصر و يرضى و يغضب فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى و هو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم الموصوف بها جسما الى آخر ما قال. فاقول لم نعرف احدا عرف الجسم

بأنه المتكلم المكلم السميع البصير الذي يرضى و يغضب و انما هذه صفات تقوم بالحي العاقل نعم ان الجسم يرى بالابصار كما قال و لكن اثباته الجسم له تعالى بهذا المعنى تنزيل له سبحانه منزلة مخلوقاته مما ينافي الالوهية فان كون الله تعالى جسما بهذا المعنى نقص يجب تنزيهه عنه أما عقلا فلأن الرؤية كما تحقق في علم البصر انما تتم بوقوع أشعة النور على سطح المرئي و انعكاسها عنه الى البصر فيلزم منه كون المرئي ذا سطح و ذلك يستدعى تركبه من أجزاء و هو ينافي الالوهية لأن الجسم بهذا المعني عين الجسم الذي نفاه أولا عنه تعالى بل حتى عن الممكن و أما نقلا فلقوله تعالى (**لاَ تُدْرِكُهُ ٱلاَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ ٱلاَبْصَارَ** * الأنعام: ١٠٣) و لا تعارض هذه الآية بقوله تعالى (**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * اِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** * القيامة: ٢٢-٢٣) لأنّ كيفية رؤيته تعالى يوم القيامة مجهولة كما هو معتقد أهل الحق فيمكن أن تكون الرؤية يومئذ بنوع من الانكشاف و التجلي من غير حاجة للباصرة و لا محاذاة لها و يدل على ذلك قوله وجوه و لم يقل عيون و في قوله ناضرة ما يفصح عن حصول السرور التام لها بذلك الانكشاف. ثم قال و ان اردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد اشار أعرف الخلق بالله تعالى اليه باصبعه رافعا لها الى السماء الخ... فاقول ان بداهة العقل حاكمة بأن المشار اليه بالاشارة الحسية لابد أن يكون في جهة و مكان و أن يكون مرئيا و كل ذلك مستحيل على الله تعالى لأنه تعالى لو كان في مكان أو جهة لزم قدم المكان أو الجهة و قد قام البرهان على أن لا قديم سوى الله تعالى و ايضا لو كان في مكان لكان محتاجا الى مكانه و هو ينافي الوجوب و ايضا لو كان في مكان فاما أن يكون في بعض الاحيان أو في جميعها. أما بطلان الاول فلأن الاحيان متساوية في أنفسها و كذلك نسبته اليها متساوية فيكون اختصاصه ببعضها ترجيحا بلا مرجح ان لم يكن هناك مخصص خارجي أو يلزم احتياجه في تحيزه الى الغير ان كان هناك مخصص خارجي. و أما بطلان الثاني فلأنه يلزم منه تداخل المتحيزين في الأماكن التي هي مشغولة بالاجسام و ذلك محال و ايضا لو جاز أن يشار اليه بالاشارة الحسية لجاز أن يشار اليه من كل نقطة من سطح الارض و حيث أن الارض كروية يلزم أن يكون سبحانه محيطا بها من جميع الجهات و الاّ ما صحت الاشارة اليه و لما كان تعالى مستويا على عرشه و مستقرا عليه كما تزعمه الوهابية كان عرشه محيطا بالسموات السبع فيلزم من نزوله الى السماء الدنيا و صعوده منها كما تقوله الوهابية ان يصغر جسمه تعالى عند النزول و يكبر عند الصعود فيكون متغيرا من حال الى حال تعالى الله

عما يقول الجاهلون

و اما ما تمسكت به الوهابية من النقول التي تثبت الاشارة اليه تعالى فهى ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتأول اما اجمالا و يفوض تفصيلها الى الله كما عليه أكثر السلف و اما تفصيلا كما هو رأى الكثيرين فما ورد من الاشارة اليه في السماء محمول على أنه تعالى خالق السماء أو أن السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن أرضنا الحقيرة الاّ ذرة بالنسبة اليها و كذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعات فيه الى غير ذلك من التأويلات

الوهابية و نبذها للعقل

لما كان صريح العقل و صحيح النظر مصادما كل المصادمة لما اعتقدته الوهابية اضطروا الى نبذهم العقل جانبا و أخذهم بظواهر النقل فقط و ان نتج منه المحال. و نجم عنه الغى و الضلال. فاعتقدوا متمسكين بظواهر الآيات أن الله تعالى ثبت على عرشه و علاه علوا حقيقيا و أن له تعالى وجها و يدين و أنه يترل الى السماء الدنيا و يصعد نزولا و صعودا حقيقيين و أنه يشار اليه في السماء اشارة حسية بالاصبع الى غير ذلك مما يؤل الى التجسيم البحت تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فالوهابية التي تسمى زائري القبور عباد الأوثان انما هي قد عبدت الوثن حيث الها جعلت معبودها جسما كالحيوان جالسا على عرشه يترل و يصعد نزولا و صعودا حقيقيين و له وجه و يد و رجل و اصابع حقيقية مما يتره عنه المعبود الحق و اذا رد عليهم بالبراهين العقلية و أثبت لهم أن ذلك مناف للالوهية عند العقل قالوا في الجواب لا مجال للعقل الحقير البشري في مثل هذه الامور التي طورها فوق طور العقل فاشبهوا في ذلك النصارى في دعوى التثليث فانك اذا سألتهم قائلا كيف يكون الثلاثة واحدا و الواحد ثلاثة قالوا ان معرفة هذا فوق طور العقل و لا يجوز اعمال الفكر في ذلك

لا ريب أنه اذا تعارض العقل و النقل أول النقل بالعقل اذ لا يمكن حينئذ الحكم بثبوت مقتضى كل منهما لما يلزم عنه من اجتماع النقيضين و لا بانتفاء ذلك لاستلزامه ارتفاع النقيضين لكن بقي ان يقدم النقل على العقل أو العقل على النقل و الاول باطل لأنه ابطال للأصل بالفرع و ايضاحه أن النقل لا يمكن اثباته الاّ بالعقل و ذلك لأن اثبات الصانع و معرفة النبوة و سائر ما يتوقف صحة النقل عليه لا يتم الاّ بطريق العقل فهو أصل للنقل الذي تتوقف صحته عليه فاذا قدم على العقل و حكم

بثبوت مقتضاه وحده فقد أبطل الاصل بالفرع و يلزم منه ابطال الفرع ايضا اذ تكون حينئذ صحة النقل متفرعة على حكم العقل الذي يجوز فساده و بطلانه فلا يقطع بصحة النقل فلزم من تصحيح النقل بتقديمه على العقل عدم صحته و اذا كان تصحيح الشئ منجرا الى افساده كان مناقضا لنفسه فكان باطلا فاذا لم يكن تقديم النقل على العقل بالدليل السابق فقد تعين تقديم العقل على النقل و هو المطلوب

اذا علمت هذا تبين لك جليا وجوب تأويل ما عارض ظاهره العقل من الآيات القرآنية التي هي ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات اما تأويلا اجماليا و يفوض تفصيله الى الله تعالى كما هو مذهب أكثر السلف و اما تفصيليا كما هو مذهب أكثر الخلف فالاستواء في قوله تعالى (**اَلرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** * طه: ٥) هو الاستيلاء و يؤيده قول الشّاعر:

قد استوى عمرو على العراق * من غير سيف و دم مهراق

و قوله تعالى (**وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** * الفجر: ٢٢) اى جاء امره و قوله (**اِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** * الفاطر: ١٠) اى يرتضيه فان الكلم عرض يمتنع عليه الانتقال بنفسه و قوله سبحانه (**هَلْ يَنْظُرُونَ الاَّ اَنْ يَاْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ** * البقر: ٢١٠) اى يأتي عذابه و قوله تعالى (**ثُمَّ دَنىَ فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنىَ** * النجم: ٨-٩) اى قرب رسوله اليه بالطاعة و التقدير بقاب قوسين تصوير للمعقول بالمحسوس و قوله صلى الله عليه و سلم (**انه تعالى ينزل الى السماء الدنيا في كل ليلة فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له**) معناه تنزل رحمته و خص بالليل لانه مظنة الخلوات. و انواع الخضوع و العبادات. الى غير ذلك من الآيات و الاحاديث

الوهابية و نفيها الاجماع

حيث كان ما انطوت عليه العقيدة الوهابية مباينا لما أجمع عليه الصحابة الكرام. و المجتهدون العظام. و كافة علماء الاسلام. لم ير أصحاب تلك العقيدة بدا من انكار الاجماع و نفي كونه حجة يعمل بها فهم قد كفروا كل مسلم عداهم ممن قال لا اله الاّ الله محمد رسول الله بسبب زيارته لقبور الانبياء و الاولياء و التوسل بهم الى الله تعالى مع أن الامة قد اجمعت ان من نطق بالشهادتين اجريت عليه احكام

الاسلام لحديث (**امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الاّ الله**) و لحديث (**كفوا عن اهل لا اله الاّ الله**) و قال ابن القيم اجمع المسلمون على ان الكافر اذا قال لا اله الاّ الله و انّ محمدا رسول الله فقد دخل في الاسلام و لذلك انعقد الاجماع على ان المرتد اذا كانت ردته بالشرك فان توبته بالشهادتين ثم ان الوهابية عدوا الاستشفاع الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه و سلم بعد موته كفرا مع ان الاجماع منعقد على جوازه و هم لم يجوّزوا لاحد ان يقلد مجتهدا من ائمة المسلمين و جوّزوا لكل احد ان يستنبط من القرآن ما استطاع ان يستنبط مع ان الاجماع واقع على أنّه لا يجوز لاحد ان يكون اماما في الدين و المذهب حتى يكون جامعا لخصال الاجتهاد فليس لاحد أن يأخذ من الكتاب و السنة ما لم يجتمع فيه تلك الخصال التي هي شروط الاجتهاد

امّا الاجماع فهو اتفاق المجتهدين من الامة الاسلامية في عصر على أمر ديني او دنيوي و يلزم على هذا التعريف عدم انعقاد الاجماع على امر بعد انقراض المجتهدين مع انك تعلم انه لو لم يكن لانعقاد الاجماع جواز في كل عصر لما انحسم ما تراه يحدث كل يوم من الامور التي لم يصرح بحكمها في الكتاب و السنة و لا تكلم فيها المجتهدون السابقون مثاله ان رجلا سمع بما استجد من القول ان الارض متحركة حول الشمس فقال غير مكترث لذلك ان كانت الارض متحركة فزوجته طالق و لما لم يكن في الكتاب و لا في السنة صراحة دلالة على ثبوت الارض و لا على حركتها لزم ان يبين علماء الامة حكم هذه المسألة فينعقد اجماعهم على حركة الارض حتى ينحسم به مثل هذه المسألة. و كذلك لو فرضنا أن رجلا صائما ركب بالونا (المركبة الهوائية) قبيل الغروب فارتفع به في الجوّ صاعدا حتى بلغ علوّ عشرة آلاف ذراع ثم غابت الشمس على الارض فافطر الناس هنالك لكنها لم تغب عن عينه و هو في الجو بسبب كرية الارض فهل يسوغ له الافطار او هل وجبت عليه صلاة المغرب فهذا مما لم يصرح به في الكتاب و لا في السنة فيلزم على علماء العصر ان يبينوا حكم امثاله و يجمعوا عليه و يوافق ما قلناه تعريف الامام الغزالي للاجماع بقوله هو اتفاق الامة المحمدية على امر من الامور و المراد باتفاق الامة هو اتفاق علمائها كما لا يخفى

قال المنكرون للاجماع ان انعقاده محال و استدلوا على ذلك قائلين ان اتفاقهم فرع تساويهم في نقل الحكم اليهم و انتشارهم في البلاد القصية مانع من ذلك فأجيب بمنع كون الانتشار مانعا مع جدهم في البحث عن الادلة و قالوا ايضا الاتفاق اما عن دليل قاطع أو ظني و كلاهما باطل اما القاطع فغير موجود كيف و لو كان لنقل فاغنى

عن الاجماع فلما لم ينقل علم عدم وجوده و اما الظني فالاتفاق فيه ممتنع عادة لاختلاف القرائح و تباين الانظار (و الجواب) منع ما ذكر أما في القاطع فللاستغناء عن نقله بحصول الاجماع الذي هو أقوى منه و ارتفاع الخلاف المحوج الى نقله و أما الظني فلجواز ان يكون جليا مما لا يمنع اختلاف القرائح و الانظار الاتفاق فيه و انما يمنعه فيما يدق و يخفى مسلكه

قالوا لو سلمنا ثبوت الاجماع في نفسه فالعلم باتفاقهم محال و احتجوا بأن العادة قاضية أن لا يصادف أن يثبت عن كل واحد من علماء الشرق و الغرب أنه حكم في المسألة الفلانية بالحكم الفلاني. و كذلك احتجوا أن نقل الاجماع مستحيل عادة لأن نقله من الآحاد لا يفيد فلا يعمل به في الاجماع و التواتر لا يتصور اذ الواجب فيه استواء الطرفين و الواسطة و من البعيد ان يشاهد أهل التواتر جميع العلماء المتشتتين في البلاد شرقا و غربا و يسمعوا منهم. و ينقلوا عنهم. هكذا طبقة بعد أخرى الى أن يتصل بنا (و الجواب) عن كلا الاحتجاجين واحد و هو أنه تشكيك في مصادمة الضرورة فقد علم قطعا اجماع الصحابة و التابعين على تقديم الدليل القاطع على المظنون و ما ذلك الا بثبوته عنهم و نقله الينا

ثم ان الاجماع حجة عند جميع العلماء الاّ النظام و بعض الخوارج و الدليل على حجيته أنهم اتفقوا على القطع بتخطئة المخالف للاجماع فكان حجة لان العادة تحيل اتفاق عدد كثير من العلماء المحققين على القطع في شرعي من غير قاطع فوجب بحكم العادة تقدير نص قاطع دال على القطع بتخطئة مخالف الاجماع لا يقال على ذلك ان فيه اثبات الاجماع بالاجماع و لا اثبات الاجماع بنص قاطع توقف ثبوته على الاجماع لان ثبوت ذلك النص مستفاد من الاجماع على القطع بالتخطئة و هذا دور لأنا نقول ان المدعي هو كون الاجماع حجة و الذي ثبت به ذلك هو وجود نص قاطع دل عليه وجود صورة من الاجماع يمتنع عادة وجودها بدون ذلك النص و ثبوت هذه الصورة من الاجماع و دلالتها العادية على وجود النص لا تتوقف على كون الاجماع حجة لأن وجود تلك الصورة مستفاد من التواتر و دلالتها على النص مستفادة من العادة

و من الادلة على حجية الاجماع ايضا قوله عليه الصلاة و السلام (**لا تجتمع أمتي على الخطإ**) فان معنى هذا الحديث متواتر لما أنه جاء بروايات كثيرة نحو (**لا تجتمع أمتي على الضلالة**) (**لا يزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة**) (**يد

الله مع الجماعة) **(من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية)** الى غير ذلك و الآحاد و ان لم تتواتر فقد تواتر القدر المشترك و حصل به العلم كما في شجاعة علي و جود حاتم

احتج المنكرون لحجية الاجماع بقوله تعالى (**وَ أَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْئٍ** * النحل: ٨٩) فقالوا لا مرجع في تبيان الاحكام الاّ الى الكتاب (و الجواب) ان هذا لا ينافي كون غير الكتاب ايضا تبيانا و لا كونه تبيانا لبعض الاشياء بواسطة الاجماع و ان سلم فغايته الظهور و لا يقاوم القاطع و احتجوا ايضا بقوله تعالى (**فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْئٍ فَرُدُّوهُ اِلَى اللهِ وَ الرَّسُولِ** * النساء: ٥٩) قالوا فلا مرجع غير الكتاب و السنة (و الجواب) ان هذا يختص بما فيه النزاع و المجمع عليه ليس كذلك أو هو يختص بالصحابة و لئن سلمنا فغايته أنه ظاهر و هو لا يصادم القطعيّ كما مرّ و استدلّوا ايضا بحديث معاذ و هو أنه أهمل الاجماع عند ذكر الادلة اذ سأله النبي صلى الله عليه و سلم عنها و أقره عليه الصلاة و السلام قالوا فقد دلّ هذا على أن الاجماع ليس بدليل (و الجواب) أنّه انما لم يذكره لانه حينئذ لم يكن حجة لعدم تقرر المأخذ من الكتاب و السنة بعد و لا يلزم أن لا يكون حجة بعد الرسل و تقرر المأخذ

الوهابية و نفيها القياس

ان الوهابية كما انكروا الاجماع كذلك أنكروا القياس و ما قصدوا بانكاره الاّ التوصل الى الطعن بمجتهدي الامة قائلين انّهم نابذون كتاب الله و سنة رسوله ظهريا عاملون بمقتضى آرائهم حتى انهم أخذوا يندّدون على ائمة الدين القائلين بالقياس و كونه حجة و يشنعون عليهم بأنهم يعتقدون الدين ناقصا و أنهم يتمونه بمثل الاجماع و القياس و قد قال الله تعالى (**اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** * المائدة: ٣) و يقولون انا لنجد الرطب و اليابس في كتاب الله المبين فأي حاجة تدعونا الى القياس فان النصوص تستوعب جميع الحوادث من غير حاجة الى استنباط و قياس

و من العجب أن الوهابية لاجل تخطئة المجتهدين في قبولهم القياس جعلت تعبث بكلام الله تعالى فتصرف الآيات القرآنية عن معانيها الصحيحة مؤوّلة اياها. بما يوافق هواها. مع أنها لا تؤوّل من الآيات ما يلزم من ظاهره النقص على الله تعالى و

المحال كآية الاستواء و اليد و الوجه و تقول ان المجتهدين عاملون بآرائهم مع أنها تجوز حتى للجهلة الرعاع من ذوي نحلتها أن يفسّروا كلام الله بحسب أفهامهم القاصرة

(القياس) هو مساواة فرع لاصله في علة الحكم. و أركانه أربعة الاصل المشبه به. و الفرع المشبه. و حكم الاصل. و الوصف الجامع الذي هو جهة التشبيه. و ليس حكم الفرع ركنا له لانه ثمرة القياس و نتيجته فاذا قلنا النبيذ مسكر فيحرم قياسا على الخمر بدليل قوله حرمت الخمر فالاصل هو الخمر و هو المشبه به و الفرع في مثالنا هو النبيذ الذي هو المشبه. و حكم الاصل هو الحرمة و الوصف الجامع هو الاسكار

و القياس حجة لأن أكثر الصحابة قد عملوا به متكررا مع سكوت الآخرين و السكوت في مثل ذلك وفاق عادة و لقوله تعالى (فاعتبروا) و معلوم أن الاعتبار هو قياس الشئ بالشئ ليس الاّ. و لو لم يكن حجة لبقى كثير من الامور التي نراها تستجد بحسب الزمان مهمل الحكم مما ليس في ظاهر الكتاب و السنة ما يتبين به حكمه صراحة و هذا لا ينافي قوله تعالى (**وَ لاَ رَطْبٍ وَ لاَ يَابِسٍ اِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** * الانعام: ٥٩) فان المقصود بالكتاب المبين هنا هو اللوح المحفوظ الذي أودعه الله تعالى ما كان و ما يكون أو نقول لما كان الاصل الذي في القياس مذكورا بحكمه في الكتاب كان الفرع الذي يقاس به في حكم كونه مذكورا ايضا لأنه مبني عليه أو نقول من البديهي ان احتواء كتاب الله على كل رطب و يابس ليس كله بطريق الصراحة بل كثير من أحكامه يستنبط منه استنباطا و من طرق الاستنباط القياس فقول الوهابية ان النصوص تستوعب جميع الحوادث بدون استنباط أو قياس غير مسلم فان استيعابها جميع الحوادث لا يتم الاّ بطريقهما

الوهابية و تكفيرها من قلد المجتهدين

لما كانت أقوال المجتهدين السالفين رحمهم الله تعالى و ما وصلوا اليه باجتهادهم من الاحكام المقررة الدينية تصادم ما ابتدعته الفئة المارقة الوهابية لم تر هذه الفئة بدا من انكارها صحة اجتهادهم. و تخطئة آرائهم. و تكفير من قلدهم. حتى يخلو لها الجو فتبيض و تصفر و تلعب بالدين كما شاء هواها و يتمهد لها الطريق الى تأسيس قواعد ضلالها المبين. اذ هى لو لم تنف اجتهادهم لما تم لها أن تصرف بحسب هواها الآيات النازلة في المشركين الى المسلمين. الذين يتوسلون الى الله تعالى بجاه رسوله و كرامة أوليائه لأن هذا الصرف مما لم يقل به مجتهد و لم يرض به أحد من

أئمة الدين. و حيث ان مبتدع ضلالتها ابن عبد الوهاب كان كثير الميل الى الاطلاع على اخبار من ادعى النبوة كمسيلمة و ابى الاسود العنسي و غيرهما من الكذابين. و أنه كان يضمر في نفسه أن يؤسس دينا يحذو به حذو أولئك الكذابين. و لكنه خاف أن يظهر للناس كذبه كما ظهر كذبهم أبرز ما كان يضمره بصورة النصر للدين المحمدي مموها على عقول الناس أنه يريد التوحيد الحقيقي و أن الناس قد أشركوا فيلزم الجهاد معهم حتى يرجعوا عن شركهم و ادعى الاجتهاد المطلق و خطأ كل من تقدمه من المجتهدين أولئك الاحبار الذين اغترفوا من بحر علم النبي صلى الله عليه و سلم و كفر مقلديهم و لم يجز لاحد تقليد غيره مع أنه أجاز لكل أحد من اتباعه الجاهلين أن يفسر الآيات الفرقانية بما يصل اليه قاصر فهمه و أن يأخذ الاحكام منها حسب عاجز ادراكه فكأنه جوز لكل أحد من اتباعه أن يكون مجتهدا فانظر الى هذا التلاعب بالدين. و العبث بشريعة الرسول الامين

نقول اما ادعاؤه الاجتهاد المطلق فهو محض سفه منه و قحة باللغة اذ هو لم يكن في زمنه ممن عرف له الرسوخ في العلم بل و لا ممن عد في عداد أرباب الترجيح في المذهب فضلا عن أن يكون مجتهدا مطلقا في الدين فان للاجتهاد شروطا أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لاحد أن يكون اماما في الدين و المذهب حتى يكون مستوفيا لها. منها أن يكون حافظا للغات العرب عارفا باختلافها و معاني أشعارها و أمثالها و عاداتها. و منها أن يكون واقفا على اختلاف العلماء و الفقهاء و أن يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قرآته و اختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بمحكمه و متشابهه و ناسخه و منسوخه و قصصه. و منها أن يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم مميزا بين صحيح أحاديثه و سقيمها و متصلها و مراسيلها و مسانيدها و مشاهيرها و منها أن يكون ورعا دينا صائنا لنفسه صدوقا ثقة يبني مذهبه على كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصا فلا يجوز أن يكون مجتهدا يقلده الناس (و قال) ابن القيم في اعلام الموقعين لا يجوز لاحد أن يأخذ من الكتاب و السنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. و سأل رجل احمد بن حنبل اذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتي الف حديث قال لا قال فثلاث مائة الف حديث قال لا قال فاربعمائة الف حديث قال نعم و يقال ان احمد ابن حنبل أجاب عن ستمائة الف حديث

و أنت تعلم أن الناس قد أجمعوا جيلا بعد جيل و قرنا بعد قرن على أن الأئمة المجتهدين ما استنبطوا أحكام الله من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم الاّ بعد ما أحاطوا بالسنة علما. و بالكتاب تفقها و فهما. احاطة قل أن يوجد بعدهم من يتوصل اليها بل العلماء طبقة بعد طبقة متمسكون بأقوالهم كالنووي و الرافعي و التقي السبكي و ابن حزم و ابن تيمية و ابن القيم و ابن الجوزي و كالفخر الرازي و الطحاوي و القاسم و القرافي جميعا على تقليدهم و اتباعهم مع أن كل واحد من هؤلاء الاحبار و من قبلهم كانت له اليد الطولى في كل فن من الفنون لكن لما علموا أنهم لم يصلوا الى رتبة الاستنباط من كتاب الله و سنة رسوله وقفوا عند حدهم و رحم الله امرأ عرف قدره. و لم يتعد طوره. فكيف يسوغ للواحد منا في هذا الزمان المتأخر أن يستنبط من كتاب الله و سنة رسوله و يطرح أقوال العلماء المستنبطين الذين أجمع الخاص و العام على اتباعهم فيه

و أما تكفير ابن عبد الوهاب لمقلدي من تقدم من المجتهدين فهو كما ذكرناه آنفا انما كان صادرا منه لترويج بدعته حتى لا يعد مسلما الاّ من اتبعه و ليت شعري لو فرضنا أن المجتهدين السابقين كما زعم ابن عبد الوهاب قد ضلوا و أضلوا فما الذي كان يلزم على عوام الناس أن يعملوا حينئذ و هم لم يكونوا قادرين على معرفة أخذ الاحكام و استنباطها من كتاب الله و سنة رسوله و ابن عبد الوهاب نفسه لم يكن اذ ذاك مولودا حتى ينقذهم من ورطة غيهم و جهالتهم و لا أظن أنه كان قد بلغت به القحة أن يقول أولئك الناس أهل فترة جاؤا في زمن لم يكن فيه مجدد في الدين

المنصف يعلم أن التقليد ضروري اذ من المحال عادة أن يكون كل فرد من أفراد المسلمين بالغا في العلم منزلة يمكنه فيها أن يستنط الاحكام الشرعية رأسا من كتاب الله و سنة رسوله مما ليس فيه نص صريح سيما الجاهلين باللغة العربية كل الجهالة من عوام الامم الاعجمية كالفرس و الاكراد و الافغان و الاتراك و غيرهم ممن يزيد عددهم على مسلمي العرب زيادة كبيرة كما لا يخفى على العارفين بجغرافية الامم و قد أطبق العلماء أنه يجب على من لم يبلغ درجة الاجتهاد أن يقلد مجتهدا و قال تعالى (**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** * النحل: ٤٣) و قال صلى الله عليه و سلم (**هلا اذا لم يعلموا سألوا فانما دواء العي السؤال**)

الوهابية و تكفيرها المسلمين

للوهابية ذرائع اتخذها لتأسيس بدعتها. منها تكفير المسلمين و ذلك أن ابن عبد الوهاب كما علمت مما قدمناه لك فيما كتبنا سابقا قد سولت له نفسه الامارة أن يبتدع دينا جديدا ينال به الرياسة و لكنه لما رأى أن ذلك لا يتم له في بلاد أهلها على جهلهم شديدوا التمسك بالدين الاسلامي ابتدع ما ابتدعه في نفس الدين الاسلامي و حيث رأى أن الامر لا يتم له الاّ بعد تكفير جميع المسلمين بشبه قرانية وجد الطريق الوحيد الى تكفيرهم توسلهم الى الله تعالى بنبيهم صلى الله عليه و سلم و بغيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين و كذا ما يتبعه من النذر و الذبح و غير ذلك مما سوف يأتي فعد تلك الامور عبادة و اذ كان القرآن العظيم مفعما بالآيات الناطقة بأن من يعبد غير الله تعالى فهو مشرك جعل الموحدين جميعهم مشركين بسبب تلك الامور

ثم ان الوهابية لما كفروا جميع المسلمين ممن خالفهم جعلوا بلادهم بلاد حرب فهدروا دماءهم. و حللوا أموالهم. و قد قال الله تعالى (**اِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ اْلاِسْلاَمِ** * آل عمران: ١٩) و قال تعالى (**وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ اْلاِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** * آل عمران: ٨٥) و قال عليه الصلاة و السلام (**الاسلام أن تشهد ان لا اله الاّ الله و أنّ محمدا رسول الله**) الحديث و في حديث ابن عمر (**بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الاّ الله و أنّ محمدا عبده و رسوله**) الحديث و في حديث وفد عبد القيس (**أمركم الايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله وحده شهادة ان لا اله الاّ الله و انّ محمدا رسول الله**) الحديث و غير ذلك من الاحاديث قال ابن القيم أجمع المسلمون على أن الكافر اذا قال لا اله الاّ الله و أنّ محمدا رسول الله فقد دخل في الاسلام

و اعلم أن تكفير المسلم أمر غير هين فقد أجمع العلماء منهم الشيخ ابن تيمية و ابن القيم على أنّ الجاهل و المخطئ من هذه الامة و لو عمل ما يجعل صاحبه مشركا أو كافرا يعذر بالجهل و الخطأ حتى نتبين له الحجة بيانا واضحا لا يلتبس على مثله

و المسلم قد يجتمع فيه الكفر و الاسلام و الشرك و الايمان و لا يكفر كفرا ينقله عن الملة فقد فارقت الخوارج أولا الجماعة و قد ذكرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و أمر بقتلهم و قتالهم و قال (**يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم**) و قال (**انهم كلاب أهل النار**) و قال (**يقرأون القرآن يحسبونه لهم و هو عليهم**) و هم قد خرجوا في زمن على رضي الله عنه فكفروا عليا

و معاوية و من معهم و استحلوا دماء المسلمين و أموالهم و جعلوا بلادهم بلاد حرب و بلاد أنفسهم بلاد ايمان و لم يقبلوا من السنة الاّ ما وافق مذهبهم و استدلوا لمذهبهم بمتشابه القرآن و جعلوا الآيات النازلة في المشركين في أهل الاسلام و مع كفرهم لم يكفرهم الصحابة و لا التابعون كما نقله ابن تيمية و قال لهم على رضى الله عنه لا نبدأكم بقتال و لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه و لا نمنعكم من الفئ ما دامت أيديكم معنا و قد ناظرهم أكابر الصحابة منهم ابن عباس رضى الله عنه حتى رجع منهم الى الحق أربعة آلاف * و أما قتال أهل الردة فلان صنفا منهم ارتدوا عن الاسلام و عادوا الى الكفر الذي كانوا عليه من عبادة الاوثان. و صنفا ارتدوا و تابعوا مسيلمة و هم بنوحنيفة و قبائل غيرهم و صنفا ارتدوا و وافقوا الاسود العنسي في اليمن. و صنفا صدقوا طليحة الاسدي و هم غطفان و فزارة و غيرهما. و صنفا صدقوا سجاح فهؤلاء أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و تركوا الزكاة و الصلاة و سائر الشريعة الاسلامية. و صنفا فرقوا بين الصلاة و الزكاة و انكروا وجوب أدائها الى الامام و هؤلاء في الحقيقة أهل بغي و انما أضيف اليهم اسم الردة لدخولهم حينئذ في غمار أهل الردة

ثم فارقت القدرية الجماعة في آخر زمن الصحابة و هم فرقتان (الاولى) أنكرت القدر رأسا و قالت ان الله لم يقدر المعاصي على أهلها و لا يهدي الضال و لا يقدر ذلك فعندهم المسلم هو من جعل نفسه مسلما بنفسه و المصلي هو الذي جعل نفسه مصليا الى غير ذلك من الطاعات و المعاصي فجعلوا العبد خالقا لاعماله (و الثانية) بضد الاولى زعموا أن الله جبر الخلق على ما عملوا و أن الكفر و المعاصي في الخلق كالبياض و السواد في الخلق فعندهم ليس للمخلوق في جميع ذلك صنع بل جميع المعاصي عندهم تضاف الى الله و هؤلاء هم اتباع ابليس حيث قال فبما اغويتني و كذلك قال المشركون لو شاء الله ما أشركنا و لا آباؤنا و مع كل كفر القدرية هذا و ضلالهم لم يكفرهم أحد من الصحابة و لا من التابعين بل قاموا في وجوههم و بينوا لهم ضلالهم من الكتاب و السنة و ما أوجبوا قتلهم و لا أجروا عليهم أحكام أهل الردة

ثم فارقت المعتزلة الجماعة في زمن التابعين و من أقوالهم الكفرية قولهم بخلق القرآن و منها انكار شفاعة النبي صلى الله عليه و سلم لاهل المعاصي و منها قولهم بخلود أهل المعاصي في النار و غير ذلك من أقوالهم و لم يكفرهم أحد من العلماء

حينئذ بل قام في وجوههم العلماء من التابعين و من بعدهم و ردوا عليهم و بينوا باطلهم و لكن لم يجروا عليهم أحكام أهل الردة بل أجروا عليهم و على من تقدمهم من أهل البدع أحكام المسلمين من التوارث و التناكح و الصلاة عليهم و دفنهم في مقابر المسلمين

ثم فارقت الجماعة المرجئة القائلة ان الايمان قول بلا عمل فمن نطق عندهم بالشهادتين فهو مؤمن و ان لم يصل لله ركعة طول عمره و لا صام يوما من رمضان و مع تماديهم في ضلالهم و استمرارهم على عنادهم بعد ان بين أهل الحق لهم خطأ مذهبهم لم يكفروهم بل جعلوا الاخوة الايمانية ثابتة لهم و لمن قبلهم من أهل البدع

ثم فارقت الجهمية الجماعة فقالوا ليس على العرش اله يعبد و لا لله في الارض من كلام و أنكروا صفات الله التي أثبتها لنفسه في كتابه المبين و أثبتها رسوله الصادق الامين. و أجمع على القول بها الصحابة و كذلك أنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة الى غير ذلك من اقوالهم و معتقداتهم الكفرية و مع ذلك فقد رد عليهم الائمة و بينوا ضلالهم حتى انهم قتلوا بعض دعاتهم كجهم بن صفران و الجعد بن درهم و بعد ان قتلوهم غسلوهم و صلوا عليهم و دفنوهم في مقابر المسلمين و لم يجروا عليهم أحكام اهل الردة

ثم فارقت الرافضة الجماعة و أنهم وافقوا المعتزلة في اعتقاد خلقهم الافعال و أنكروا رؤية الباري تعالى يوم القيامة و حكموا بكفر اكثر الصحابة و طعنوا أم المؤمنين و مع ذلك فلم يكفرهم أحد من العلماء و لا منعوهم عن التوارث و لا التناكح و أجروا عليهم أحكام المسلمين

و مذهب السلف الذي تتستر به الوهابية هو عدم القول بتكفير طوائف المارقين الذين ذكرناهم. قال الشيخ تقي الدين بن تيمية لم يكفر الامام أحمد الخوارج و لا المرجئة و لا القدرية و لا أعيان الجهمية بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا الناس الى قولهم و عاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الشديدة و قال ايضا ما محصله ان من البدع المنكرة تكفير طائفة من المسلمين و استحلال دمائهم و أموالهم اذ لعل تلك الطائفة ليس فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها و لو فرض أن تلك الطائفة قد ابتدعت لم يجز للطائفة التي على السنة أن تكفرها لما عسى أن تكون بدعتها ناشئة عن خطأ قال الله تعالى (**رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا انْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** * البقرة: ٢٨٦) و قال تعالى (**وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ اَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَاتَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** * الاحزاب: ٥

) و قال النبي صلى الله عليه و سلم (**ان الله تجاوز لأمتي عن الخطأ و النسيان و ما استكرهوا عليه**).

و قد انعقد الاجماع على أن من كان مقرا بما جاء به الرسول و ان كانت فيه خصلة من الكفر او الشرك لا يكفر حتى تقام عليه الحجة و الحجة لا تقوم الاّ بالاجماع القطعي لا الظني و الذي يقيم الحجة هو الامام او نائبه و الكفر انما يكون بانكار الضروريات من دين الإسلام كوجود الباري و وحدانيته و انكار رسالة محمد صلى الله عليه و سلم أو بانكار الفرائض كوجوب الصلاة و مذهب أهل السنة و الجماعة التحاشي عن تكفير من انتسب للاسلام حتى أنهم يقفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم دفعا لضررهم لا لكفرهم و الشخص الواحد يجتمع فيه الكفر و الايمان و النفاق و الشرك و لا يكفر كل الكفر فمن اعترف بالاسلام قبل منه سواء كان صادقا أو كاذبا و ان ظهرت منه بعض علامات النفاق و الجهل عذر عن الكفر و كذلك الشبهة و ان كانت ضعيفة هذا فقد تبين ما للوهابية في تكفيرها المسلمين من البدعة و المخالفة لما جاء به كتاب الله و سنة رسوله و لأقوال أئمة الدين و العلماء المجتهدين

الوهابية و نفيها التوسل

ذكرنا فيما سبق تكفير الوهابية لمن خالف بدعتها من جميع المسلمين و نسبتها اياهم الى الشرك الاكبر و قد آن لنا أن نذكر ههنا ما اتخذته ذريعة لتكفيرهم من الامور فمنها الاستغاثة بالانبياء و الاولياء و التوسل بهم الى الله تعالى و زيارة قبورهم فهي قد نفت ذلك و حرمته و شددت النكير على المستغيثين و المتوسلين و الزائرين فكفرتهم و عدتهم مشركين كعباد الأوثان بل جعلتهم أسوأ حالا منهم حيث قالت ان المشركين السابقين كانوا مشركين في الالوهية فقط و أما مشركوا المسلمين تعني بهم من خالفها منهم فقد أشركوا في الالوهية و الربوبية و قالت أيضا ان الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يشركون دائما بل تارة يشركون و تارة يوحدون الله و يتركون دعاء الانبياء و الصالحين و ذلك انهم اذا كانوا في السراء دعوهم و اعتقدوا بهم و اذا أصابهم الضر و الشدائد تركوهم و أخلصوا لله الدين و عرفوا ان الانبياء و الصالحين لا يملكون ضرا و لا نفعا

حملت الوهابية جميع الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين من أمة محمد صلى الله عليه و سلم و تمسكت بها في تكفيرهم منها قوله تعالى (**فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا** * الجن: ١٨) و قوله تعالى (**وَ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ اِلَى يَوْمِ الْقِيمَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ * وَ اِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ اَعْدَآءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** * الاحقاف: ٥-٦) و قوله تعالى (**وَ لاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَ لاَ يَضُرُّكَ فَاِنْ فَعَلْتَ فَاِنَّكَ اِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ** * يونس: ١٠٦) و قوله تعالى (**وَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * اِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَ لاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** * الفاطر: ١٣-١٤) و قوله تعالى (**وَ لاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ اِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ** * الشعراء: ٢١٣) و قوله تعالى (**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ اِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ اِلَى الْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَ مَا دُعَآءُ الْكَافِرِينَ اِلاَّ فِي ضَلاَلٍ** * الرعد: ١٤) و قوله تعالى (**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لاَ تَحْوِيلاً * اُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ اِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ اِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** * الاسراء: ٥٦-٥٧) الى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين فزعم ابن عبد الوهاب أن كل من استغاث بالنبي صلى الله عليه و سلم أو توسل به أو بغيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة أو زار قبره يكون معدودا في عداد هؤلاء المشركين داخلا في عموم هذه الآيات و شبهته في ذلك ان هذه الآيات و ان كانت نازلة في المشركين الاّ أنّ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

(و الجواب) انّا لا ننكر أن العبرة هي لعموم اللفظ لا لخصوص السبب و لكنا نقول ان هذه الآيات لا تشمل من زعمت الوهابية أنها شاملة لهم لما أنه ليس من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شئ عند المتوسلين و المستغيثين فان الدعاء يأتي لمعان شتى كما سنذكره قريبا و هو في هذه الآيات كلها بمعنى العبادة و المسلمون لا يعبدون الاّ الله تعالى و ليس فيهم من اتخذ الانبياء و الاولياء آلهة و جعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات و لا اعتقدوا أنهم يستحقون العبادة و لا أنهم يخلقون شيئا و لا انهم يملكون ضرا و لا نفعا بل انما اعتقدوا أنّهم عبيد الله مخلوقون له

و ما قصدوا بزيارة قبورهم و التوسل بهم الى الله تعالى الاّ التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم و اجتباهم فببركتهم يرحم عباده

قالت الوهابية ان اعتذاركم هذا هو عين اعتذار المشركين عن عبادة الاصنام فقد قال تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللهِ زُلْفَى** * الزمر: ٩) فالمشركون ما اعتقدوا في الاصنام أنها تخلق شيئا بل اعتقدوا أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى (**وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ** * الزخرف: ٨٧) و قوله تعالى (**وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الْاَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ** * لقمان: ٢٥) فانما حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم ليقربونا الى الله زلفى قالت و هكذا المتوسلون بالانبياء و الصالحين يقولون ما هو بمعنى قول المشركين ليقرّبونا الى الله زلفى

و الجواب من وجوه (الاول) ان المشركين جعلوا الاصنام آلهة و المسلمون ما اعتقدوا الاّ الها واحدا فعندهم أن الانبياء أنبياء و الاولياء أولياء ليس الاّ فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين

(الثاني) ان المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة مستحقون للعبادة بخلاف المسلمين فانهم لم يعتقدوا أن أحدا من المتوسل بهم مستحق لاقل عبادة و ليس عندهم المستحق للعبادة الاّ الله وحده

(الثالث) ان المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم (**وَ مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا**) و المسلمون ما عبدوا الانبياء و الصالحين في توسلهم بهم الى الله تعالى

(الرّابع) ان المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب الى الله تعالى كما حكى الله عنهم و أما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالانبياء و غيرهم التقرب الى الله لما أن التقرب اليه تعالى لا يكون الاّ بالعبادة و لذلك قال الله تعالى حكاية عن المشركين (**مَا نَعْبُدُهُمْ اِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا**) بل ان المسلمين قصدوا التبرك و الاستشفاع بهم و التبرك بالشئ غير التقرب به كما لا يخفى

(الخامس) ان المشركين لما كانوا يعتقدون أنّ الله تعالى جسم في السماء أرادوا بقولهم ليقرّبونا الى الله التقريب الحقيقي و يدل عليه تأكيده بقولهم زلفى اذ تأكيد الشئ بما هو بمعناه يدل في الاكثر على أن المقصود به هو المعنى الحقيقي دون

المجازي فانا اذا قلنا قتله قتلا تبادر القتل الحقيقي الى الفهم لا الضرب الشديد بخلاف ما اذا قلنا قتله فقط فانه قد يراد به الضرب الشديد. و أما المسلمون فحيث لم يعتقدوا أن الله جسم في السماء يبعد منهم أن يطلبوا التقرب الحقيقي اليه بالتوسل فلا ينطبق عليهم حكم الآية نعم ان الوهابية لما اعتقدت أن الله تعالى جسم استوى على عرشه في السماء لم تجد للتبرك الذي قصده المسلمون بتوسلهم معنى غير التقرب الذي يكون الى الاجسام و لذلك جعلت هذه الآية منطبقة عليهم

و يجدر بنا أن نبين هنا أنواع الشرك فنقول: منها ما يقال له شرك الاستقلال و هو اثبات الهين مستقلين كشرك المجوس. و منها شرك التبعيض و هو تركيب الاله من عدة آلهة كشرك النصارى. و منها شرك التقريب و هو عبادة غير الله تعالى ليقرب الى الله زلفى كشرك الجاهلية و الشرك الذي جعلته الوهابية أصلا لشرك المستغيث و المتوسل و بنت عليه قاعدها هو شرك التقريب الذي دانت به الجاهلية

و الامر الذي حمل الجاهلية على شركها هذا هو تسويل الشيطان لها أن عبادها لله تعالى على ما هى عليه من غاية الضعف و العجز و تركها التقرب اليه بعبادة من هو أعلى منها عنده و أشرف و أقوى كنحو الملائكة انما هو سوء أدب و لكن لما رأت غيبة من عبدته عنها دائما أو بعض الاوقات صنعت الاصنام أمثلة لما غاب عنها من معبوداها فعبدها

اذا تحققت هذا اتضح لك أن حال مشركي الجاهلية لا ينطبق بوجه من الوجوه على المسلمين المتوسلين الى الله بالانبياء و الصالحين فأولئك اتخذوا الاصنام آلهة و الاله معناه المستحق للعبادة فهم اعتقدوا استحقاق الاصنام للعبادة و اعتقدوا أولا أها تنفع و تضر فعبدوها فاعتقادهم هذا و عبادهم اياها أوقعاهم في الشرك فلما أقيمت عليهم الحجة بأها لا تملك نفعا و لا ضرا قالوا ما نعبدهم الاّ ليقرّبونا الى الله زلفى فكيف يجوز للوهابية أن تجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين اذ لا شك أن المشركين انما كفروا بسبب عبادهم تماثيل الانبياء و الملائكة و الاولياء التي صوروها على صورهم و سجدوا لها و ذبحوا و بسبب اعتقادهم في الملائكة و الانبياء و الاولياء أهم آلهة مع الله يضرون و ينفعون بذواهم و لذلك احتج الله تعالى على ابطال قولهم و ضرب الامثال للرد على معتقدهم في كثير من الآيات بأن الاله المستحق للعبادة يجب أن يكون قادرا على كشف الضر و ايصال النفع لمن عبده و بأن ما عبدوه من جملة المحدثات المنافية للربوبية و أما المستغيث و المتوسل فهو براء من هذه العبادة و هذا

الاعتقاد و أما القول بأن مجرد الاستغاثة عبادة لغير الله تعالى فتحكم و مكابرة اذ الآيات التي استدلت بها الوهابية انما نزلت جميعها في الكفار الذين عبدوا غير الله و ان قصدوا بعبادتهم ذلك الغير التقرب اليه تعالى و في الذين اعتقدوا أن مع الله الها آخر و أن له ولدا و زوجة (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) و هذا محل وفاق لا نزاع فيه و ليس في الآيات النازلة في الكفار دلالة على كون مجرد الاستغاثة بنبي أو ولي مع الايمان بالله تعالى هي عبادة لغير الله تعالى

قالت الوهابية ان الاستغاثة من نوع الدعاء و قد ورد في الحديث الشريف (**ان الدعاء هو العبادة**) فالذي يستغيث بنبي أو ولي فهو انما يعبده بتلك الاستغاثة و حيث أن العبادة لا تصلح الاّ لله وحده و أن عبادة غيره شرك كان المستغيث بغيره مشركا

فالجواب على هذا ان ضمير الفعل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه و كذا تعريف الخبر كما ذكره صاحب المفتاح و عليه الجمهور فقولنا الله هو الرزاق مثلا معناه لا رازق سواه و على هذا فقوله عليه الصلاة و السلام (**الدعاء هو العبادة**) دال على أن العبادة مقصورة على الدعاء فيكون المراد من الحديث ان العبادة ليست غير الدعاء و يؤيده قوله تعالى (**قُلْ مَا يَعْبُؤا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَآؤُكُمْ** * الفرقان: ٧٧) أي ما يصنع بكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان بعبادته و كرامته بمعرفته و طاعته و الاّ فلا فضل له على البهائم. و الحج و الصلاة و الزكاة و الصيام و الشهادة كلّها دعاء و كذلك التلاوة و الاذكار و الطاعة فانحصرت العبادة في الدعاء. اذا تقرر هذا فلا حجة في الحديث اذ على تقدير كون الاستغاثة من نوع الدعاء كما قالته الوهابية لا يلزم ان تكون عبادة لما أن الدعاء قد لا يكون عبادة كما هو ظاهر

و اما اذا قصرنا المسند اليه على المسند في الحديث بناء على ما ذهب اليه صاحب الكشاف من أن تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه كما يكون لقصر المسند فلا يتم استدلال الوهابية به الاّ اذا كانت ال في الدعاء للجنس و الاستغراق و هي ليست لذلك اذ ليس كل دعاء عبادة فهو كما يكون بمعنى العبادة كما في قوله تعالى (**و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرك** * يونس: ١٠٦) كذلك يكون بمعنى الاستعانة كقوله تعالى (**وَ ادْعوُا شُهَدَاءَكُمْ** * البقرة: ٢٣) و بمعنى السؤال كقوله تعالى (**ادْعوُنِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ** * المؤمن: ٦٠) و بمعنى القول كقوله تعالى

(**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ** * يونس: ١٠) و بمعنى النداء كقوله تعالى (**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ** * الاسراء: ٥٢) و بمعنى التسمية كقوله (**لاَ تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** * النور: ٦٣) على ما فصله صاحب الاتقان و عليه فلو كانت أل للجنس و الاستغراق كان قول المرء يا زيد اعطني درهما كفرا و الوهابية لا تقول به فتعين أن أل في الحديث للعهد فيكون المراد بالدعاء في الحديث هو دعاء الحق تعالى لا مطلق الدعآء أى ان سؤال الله تعالى هو من أعظم العبادة فهو على حد قوله عليه الصلاة و السلام (**الحج عرفة**) أي ركنه الاكبر و ذلك لانه يدل على أن السائل مقبل عليه تعالى معرض عما سواه و لأن السؤال مأمور به و فعل المأمور به عبادة و سماه النبي عبادة ليخضع الداعي و يظهر ذلته و افتقاره اذ العبادة ذل و خضوع

و من الدلائل على كون المراد من الدعاء في الحديث هو دعاء الله لا مطلق الدعاء ما حققه كثير من اللغويين و صرح به ابن رشد و القرافي في شرح التنقيح من أن السؤال أحد أقسام الطلب و هو طلب الأدنى من الأعلى فاذا كان من الله تعالى سمى سؤالا و دعآء و لا يقال للطلب من غيره تعالى دعاء فاذا كان لا يجوز ان يقال للطلب من غيره تعالى مجرد دعاء فبالاحرى أن لا يقال لذلك الطلب دعاء بمعنى العبادة

التوسل و أدلّة جوازه

قبل الخوض في المطلب نبين لك أن المراد من الاستغاثة بالانبياء و الصالحين و التوسل بهم هو أنهم أسباب و وسائل لنيل المقصود و ان الله تعالى هو الفاعل كرامة لهم لا أنهم هم الفاعلون كما هو المعتقد الحق في سائر الافعال فان السكين لا يقطع بنفسه بل القاطع هو الله تعالى و السكين سبب عادي خلق الله تعالى القطع عنده

قال السبكي و القسطلاني في (**المواهب اللدنية**) و السمهودي في (**تاريخ المدينة**) و ابن حجر في (**الجوهر المنظم**) ان الاستغاثة به عليه الصلاة و السلام و بغيره من الأنبياء و الصالحين انما هي بمعنى التوسل الى الله بجاههم و المستغيث يطلب من المستغاث به أن يجعل له الغوث ممن هو أعلى منه فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى و النبي صلى الله عليه و سلم واسطة بين المستغيث و بين المستغاث به الحقيقي فالغوث منه تعالى انما يكون خلقا و ايجادا و الغوث من النبي عليه الصلاة و السلام انما يكون تسببا و كسبا

و قد جوز أجلة العلماء الاستغاثة و التوسل بالنبي صلى الله عليه و سلم و لا يعارض جوازها بخبر أبي بكر رضى الله عنه (قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق) فقال النبي صلى الله عليه و سلم (**انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله**) لان من رواته ابن لهيعة و الكلام فيه مشهور. و لو فرضنا أن الحديث صحيح فهو من قبيل قوله تعالى (**وَ مَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللهَ رَمَى** * الانفال: ١٧). و قوله عليه الصلاة و السلام (**ما أنا حملتكم و لكن الله حملكم**) فيكون معنى الحديث السابق انى و ان يستغاث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى. و بالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة على من يحصل منه غوث و لو تسببا و كسبا أمر نطقت به اللغة و جوزه الشرع فتعين تأويل الحديث المذكور و يؤيد ما بيناه في تأويله حديث البخاري في الشفاعة يوم القيامة. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه و سلم

لنا على جواز التوسل و الاستغاثة دلائل منها قوله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ ابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** * المائدة: ٣٥) قال ابن عباس ان الوسيلة كل ما يتقرب به الى الله تعالى و الوهابية جعلت الوسيلة خاصة بالافعال و هو تحكم بل ظاهر الآية تخصيصها بالذوات فانه تعالى قال في هذه الآية (**اتقوا لله**) و التقوى عبارة عن فعل المأمور به و ترك المنهي عنه فاذا فسرنا الوسيلة بالاعمال كان الامر بابتغاء الوسيلة اليه تأكيدا للأمر بالتقوى بخلاف ما اذا أريد بها الذوات فان الامر حينئذ يكون تأسيسا و هو خير من التأكيد

و منها قوله تعالى (**اُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ اِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ اَيُّهُمْ اَقْرَبُ** * الاسراء: ٥٧) قال ابن عباس هم عيسى و أمه و عزير و الملائكة و تفسير الآية ان الكفار يعبدون الانبياء و الملائكة على أنهم أربابهم فيقول الله لهم أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو أقرب فكيف تجعلونهم أربابا و هم عبيد مفتقرون الى ربهم متوسلون اليه بمن هو أعلى مقاما منهم

و منها قوله تعالى (**وَ لَوْ اَنَّهُمْ اِذَا ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة و السلام و في ذلك صريح دلالة على جواز التوسل به صلى الله عليه و سلم و قبول المتوسل به كما يفهم من قوله تعالى (**لَوَجَدُوا الله**

تَوَّابًا رَحِيمًا) و أنت تعلم أن استغفاره صلى الله عليه و سلم لأمته لا يتقيد بحال حياته كما دلت عليه الاحاديث الواردة مما سننقله

لا يقال ان الآية وردت في قوم معينين فلا عموم لها لأنا نقول انها و ان وردت في قوم معينين في حال حياته صلى الله عليه و سلم تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف سواء كان في حال حياته أو بعد موته صلى الله عليه و سلم

و منها قوله تعالى (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** * القصص: ١٥) فنسب الله تعالى الاستغاثة الى غيره من المخلوق و كفى به دليلا على جوازها فان قيل ان المستغاث في هذه الآية حي و له قدرة و انما كلامنا في الميت أجيب بأن نسبة القدرة اليه ان كانت استقلالا فهي كفر و ان كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب و الوسيلة ليس الاّ فلا فرق بين الحي و الميت فان الميت له كرامة و اذا لم تنسب الاغاثة الى الله حقيقة و الى غيره مجازا كانت الاستغاثة ممنوعة و من هنا تعلم سر نفي النبي صلى الله عليه و سلم الاستغاثة عن نفسه عند ما قال أبوبكر الصديق رضى الله عنه قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال عليه السلام (**لا يستغاث بي انما يستغاث بالله**) مع أن النبي كان حينئذ حيا و له قدرة فانما قصد صلى الله عليه و سلم نفي الاستغاثة الحقيقية فأراد تعليم أمته أنها لا تكون الاّ بالله

و منها قوله تعالى (**لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ اِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** * مريم: ٨٧) قال بعض المفسرين ان العهد هو قول لا اله الاّ الله محمد رسول الله و عليه فمعنى الآية لا يشفع الشافعون الاّ لمن قال لا اله الاّ الله و هم المؤمنون كقوله تعالى (**لاَ يَشْفَعُونَ اِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** * الانبياء: ٢٨) و هو معنى بعيد ان يكون حينئذ تقدير الآية لا يملكون الشفاعة لاحد الاّ من اتخذ الخ و فيه من التكلف ما فيه

و الاحسن ان يكون تفسير قوله لا يملكون بمعنى لا ينالون فحينئذ يصح الاستثناء بدون تقدير شئ و قيل معناه لا يملك الشفاعة الاّ من قال لا اله الا الله أي لا يشفع الاّ المؤمنون و مثله قوله تعالى (**وَ لاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ اِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ** * الزخرف: ٨٦) و الشهادة بالحق هى قول لا اله الاّ الله و حيث كان المراد من التوسل بالانبياء و الاولياء و الصالحين و الطلب منهم هو استشفاعهم و قد أخبر تعالى انهم يملكون الشفاعة فأى مانع من طلب شئ مما ملكوه باذنه تعالى

فيجوز أن تطلب منهم ان يعطوك مما أعطاهم الله تعالى و انما الممنوع هو طلب الشفاعة من الاصنام التي لا تملك شيئا منها

و منها ما رواه ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه فقال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللّهمّ انّي أسألك بحق السائلين عليك و أسألك بحق ممشاى هذا اليك فانّي لم أخرج اشرا و لا بطرا و لا رياء و لا سمعة خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار و أن تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الاّ أنت أقبل الله عليه بوجهه و استغفر له سبعون الف ملك**) فقد توسل النبي عليه الصلاة و السلام في قوله انّي أسألك بحق السائلين عليك بكل عبد مؤمن و أمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء فيتوسلوا مثل توسله و لم يزل السلف من التابعين و من تبعهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة و لم ينكر عليهم أحد

و منها قوله صلى الله عليه و سلم (**اغفر لأمي فاطمة بنت أسد و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الانبياء الذين من قبلي**) الى آخر الحديث رواه الطبراني في الكبير و صححه ابن حبان و الحاكم عن أنس بن مالك رضى الله عنه و فاطمة هذه أم على كرم الله وجهه التي ربت النبي صلى الله عليه و سلم و روى ابن أبي شيبة عن جابر مثل ذلك. و روى مثله أيضا ابن عبد البرّ عن ابن عباس رواه أبونعيم في الحلية عن أنس كما ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير

و منها ما رواه الترمذي و النسائي و البيهقي و الطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال (**ان شئت دعوت و ان شئت صبرت و هو خير**) قال فادعه فأمره أن يتوضأ و يحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ انّي أسألك و أتوجه اليك بنبيّك محمد نبي الرحمة يا محمد انّي أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللّهمّ شفعه فيّ**) فعاد و قد أبصر. و خرج هذا الحديث البخاري أيضا في تاريخه و ابن ماجه و الحاكم في المستدرك باسناد صحيح و ذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير و الصغير فقد أمر النبي صلى الله عليه و سلم الرجل الضرير أن يناديه و يتوسل به الى الله في قضاء حاجته

قد تقول الوهابية ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه و سلم فليس

يدل على جواز التوسل به بعد موته فنجيب ان الدعاء هذا قد استعمله الصحابة و التابعون أيضا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم لقضاء حوائجهم. يدل عليه ما رواه الطبراني و البيهقي أن رجلا كان يختلف الى عثمان رضى الله عنه زمن خلافته في حاجة و لم يكن ينظر في حاجته فشكى الرجل ذلك لعثمان بن حنيف فقال له أئت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللّهمّ انّي أسألك و أتوجه اليك بنبيّنا محمد نبي الرحمة يا محمد انّي أتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتي و تذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضى الله عنه فجاءه البواب و أخذ بيده و أدخله على عثمان فأجلسه معه و قال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها فلما خرج الرجل من عنده لقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف و الله ما كلمته و لكن شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد أتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الحديث. فهذا توسل و نداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم على أن النبي عليه الصلاة السلام حي في قبره فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالى بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون

و منها ما رواه البيهقي و ابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه و سلم و قال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله في المنام و أخبره أنهم يسقون و استدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبي صلى الله عليه و سلم فان رؤياه و ان كانت حقا لا تثبت بها الأحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي و انما الاستدلال بفعل أحد أصحابه صلى الله عليه و سلم في اليقظة و هو بلال بن الحرث فانه أتى قبر النبي صلى الله عليه و سلم و ناداه و طلب منه أن يستسقى لأمته

و منها ما ذكر في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه من استسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زمن خلافته بالعباس عم النبي صلى الله عليه و سلم لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا (**و في المواهب اللدنية**) للعلامة القسطلاني أن عمر رضى الله عنه لما استسقى بالعباس رضى الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس و اتخذوه وسيلة الى الله تعالى

لا فرق في التوسل بالانبياء و غيرهم من الصلحاء بين كونهم أحياء أو أمواتا

لأنهم في كلا الحالتين لا يخلقون شيئا و ليس لهم تأثير في شئ و انما الخلق و الايجاد و التأثير لله وحده لا شريك له في كل ذلك و أما من يعتقد التأثير للاحياء دون الاموات فلهم أن يفرقوا بين التوسل بهم و التوسل بالاموات اما نحن فنقول ان الله هو الخالق لكل شئ (**و الله خلقكم و ما تعملون**) فالوهابية التي تتظاهر بالذب عن التوحيد و تجوز التوسل بالاحياء قد دخل الشرك في توحيدها من حيث لا تدري لكونها اعتقدت تأثير الاحياء مع انه لا تأثير في الحقيقة الاّ لله تعالى

و التوسل و التشفع و الاستغاثة بمآل واحد فانما المقصود منها التبرك بذكر احباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالموجد الحقيقي هو الله تعالى و انما هؤلاء أسباب عادية لا تأثير لهم في ذلك

و أما قول العامي من المسلمين يا عبد القادر (ادركني) و يا بدوي (المدد) مثلا فيحمل على المجاز العقلي كما يحمل عليه قول القائل هذا الطعام أشبعني و هذا الماء أرواني و هذا الدواء شفاني فان الطعام لا يشبع و الماء لا يروي و الدواء لا يشفي حقيقة بل المشبع و المروي و الشافي الحقيقي هو الله تعالى وحده و انما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها في الظاهر

و معظم الامة أجمعوا على جواز التوسل به صلى الله عليه و سلم و بغيره من الصحابة و الصالحين فقد صدر من كثير من الصحابة و العلماء من السلف و الخلف و اجتماع أكثرهم على الحرام أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح و قيل المتواتر (**لا تجتمع أمتي على ضلالة**) و لقوله تعالى (**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ** * آل عمران: ١١٠) فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على ضلالة

و من أدلة جواز الاستغاثة ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر في قصة هاجر أم اسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها و ولدها العطش جعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتا و لا ترى شخصا فقالت أغث ان كان عندك غوث فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث و لما ذكر النبي صلى الله عليه و سلم ذلك لاصحابه و لم ينكره و لما نقلته الصحابة من بعده و ذكره المحدثون

و منها ما رواه البخاري في حديث الشفاعة أن الخلق بينما هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بابراهيم ثم بموسى ثم بعيسى و كلهم يعتذرون و يقول عيسى اذهبوا الى محمد فيأتون اليه صلى الله عليه و سلم فيقول (**أنا لها**) الحديث فلو

كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبي صلى الله عليه و سلم لأصحابه رضى الله عنهم و أجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبي صلى الله عليه و سلم قدرة ورد عليهم أنهم في حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم الاّ بنوع التسبب فكذلك بعد الموت على أنهم أحياء في قبورهم يتسببون

و منها ما رواه الطبراني عن زيد بن عقبة بن غدوان عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (**اذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا و هو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فان لله عبادا لا يراهم**)

لا يقال ان المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلموا الجن أو رجال الغيب و هؤلاء كلهم أحياء فلا يستدل بالحديث على الاستغاثة بالاموات و الكلام فيهم لأنا نقول لا صراحة في الحديث بأن المقصود بعباد الله هم من ذكر لا غير و لو سلمنا فالحديث حجة على الوهابية من جهة أخرى و هى نداء الغائب الذي لم يجوزوه كنداء الميت و لا يفيد الوهابية طعنها ببعض رواة هذا الحديث فانه قد روى بطرق شتى يعضد بعضها بعضا فقد رواه الحاكم في صحيحه و أبو عوانه و البزاز بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم بهذا اللفظ أنه قال (**اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله أحبسوا**) و قد ذكر هذا الحديث شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (**الكلم الطيب**) عن أبي عوانة في صحيحه و ابن القيم في (**الكلم الطيب**) له و النووي في (**الاذكار**) و الجزري في (**الحصن الحصين**) و غيرهم ممن لا يحصى من المحدثين و هذا لفظ رواية ابن مسعود مرفوعا و رواية ابن مسعود موقوفا عليه فليناد أعينوني يا عباد الله

و نقل عن عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل أنه قال سمعت أبي يقول حججت خمس حجج فضللت في احداهن عن الطريق و كنت ماشيا فجعلت أقول يا عباد الله دلونا على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق فقل للوهابية التي تدعى نسبتها الى الامام احمد كيف جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله و هو غائب من غير أن يراه

و من شبه الوهابية في تكفير من استغاث أو نادى غائبا من نبي أو ولي قد مات ان الذين ينادون نبيا أو وليا مستغيثين به قد يكون نداؤهم في أماكن متعددة في زمان واحد و يكون عددهم كثيرا جدا مما يبلغ مئات الالوف و هم يعتقدون أن

المستغاث به يحضر حين ندائه في ذلك الآن و هذا بصرف النظر عن كونه كفرا و شركا لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفا بما هو من صفات الرب عزّ و جلّ ممتنع عقلا فمن البديهي أن الجسم الواحد لا يكون في زمان واحد موجودا في أماكن متعددة

و الجواب أنه ليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه في الاماكن المتعددة فان ذلك المعتقد كفر و ذلك الحضور محال و انما المعتقد حضور البركة بخلق الله تعالى اياها في تلك الاماكن المتعددة لطفا منه و رحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به و ليس في ذلك محال فان رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد

ثم ان الوهابية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد الذي هم براء منه ساقت على بطلانه ما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح و ذلك أنهم قالوا لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله و رسوله لا ينعقد النكاح و قالت لو كان النبي يعلم نداء المستغيث به اذا ناده من بعيد لكان علام الغيوب و لصح انعقاد النكاح الذي قال الفقهاء ببطلانه

و الجواب ان المسلمين كما لا يعتقدون أن النبي أو الولى المستغاث به يحضر عند ندائه كذلك لا يرون علم الغيب لاحد الاّ الله تعالى و أما عدم انعقاد النكاح بشهادة الله و رسوله فلأن الشرع انما اشترط شهادة الشهود في النكاح و أمثاله صيانة لحقوق الزوجية لما عسى أن يحدث بين الزوجين من المنازعات التي ربما آلت بهما الى الترافع أمام الحكام و حينئذ لا يمكن لاحد الخصمين أن يثبت دعواه بشهادة الله و رسوله اذ نحن لو فرضنا أن الله تعالى عما يقول الظالمون جسم يترل الى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية نقول ما جرت عادته تعالى أن يترل الى غرفة الحاكم فيؤدي شهادته أمامه حسما لتراع المخاصمين

قد علمت أن الوهابية كفرت من نادى غير الله تعالى كقوله يا رسول الله و نحو ذلك و نحن اذا أمعنا النظر رأينا أن كفر هذا الذي يقول يا رسول الله مثلا لا يخلو اما أن يكون لأنه يعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه و يسمع نداءه و يقضي بنفسه له حاجته و ينجيه من الورطة التي ناداه من أجلها أو يكون لأنه يعتقد أن الذي يناديه يسمع نداءه باسماع الله اياه بمحض قدرته و ان الله تعالى لا غيره يقضي حاجته ببركة ذلك المنادي و ان الله تعالى ينجيه من الورطة التي هو فيها بجاه ذلك النبي و على كلا التقديرين ففيه من السقط ما فيه. أما الاول فلأن من اعتقد أن أحدا غير الله تعالى يقضي الحاجة و ينجي من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك الاحد أو لم يناده فلا

وجه لتخصيص كفره بحالة النداء و أنت تعلم أن لا أحد من المسلمين يعتقد هذا المعتقد. و أما الثاني فلأن من كان قلبه عرية الايمان معتقدا أن الذي يقضي الحوائج و ينجي من المهالك انما هو الله تعالى لا غيره لا يجوز أن يكون كافرا بمجرد نداء غائب معتقدا أن الله تعالى يخلق فيه السماع

و من الجهل ما قالته الوهابية هنا من أن الشرع يحكم بالظاهر و الظاهر من نداء أحد لغير الله أنه يعتقد في ذلك الغير علما محيطا بالغيب و قدرة بالغة على قضاء الحوائج و تصرفا تاما في الكون مما هو مختص بالباري عزّ و جلّ و يكون اعتقاده في غيره كفرا و شركا

و الجواب أن الظاهر من حال من نادى غير الله تعالى يدل على أنه نادى غير الله فقط لا أنه اعتقد في ذلك الغير قدرة و قضاء للحوائج و غير ذلك مما ذكرته الوهابية و الاعتقاد أمر باطني قد يدل بعض الظواهر عليه لكن النداء ليس من قبيلها فقل للوهابية التي تجعل ظاهر النداء دالا على الشرك و الكفر ما بالكم لا تنظرون الى ما للمسلم الذي تكفرونه من ظاهر الصلاة و الصوم و الزكاة و غير ذلك من أركان الدين فتعدونه دالا على ايمانه و حسن اعتقاده و من العجيب أن ذلك المسلم الذي ينادي يصرح بعدم اعتقاده القدرة و ما شاكلها لمن ناداه و أنتم مع ذلك تجعلون ظاهر ندائه دالا على ذلك الاعتقاد الذي نفاه عن نفسه فليت شعري أى حكم لاستدلالكم بظاهر نداء الرجل على سوء اعتقاده في مقابلة تصريحه لكم بحسن ما يعتقده

الوهابية و تكفيرها من زار القبور

لو سأل سائل عما تمذهبت به الوهابية ما هو و عن غايته ما هي فقلنا في جواب كلا السؤالين هو تكفير كافة المسلمين لكان جوابنا على اختصاره تعريفا كافيا لمذهبها فان من أمعن النظر فيما جاءت به رآها تتحرى في كل مسألة تكفير كافة المسلمين الذين رضى الله لهم الاسلام دينا فقد كفرتهم لتنزيههم الله تعالى عن الجسمية و كفرتهم لأخذهم بالاجماع و كفرتهم لتقليدهم الائمة المجتهدين في الدين و كفرتهم لاستشفاعهم بنبيهم صلى الله عليه و سلم بعد موته و توسلهم به الى الله تعالى و كفرتهم لزيارتهم القبور

لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها اما الاستشفاع و التوسل الى الله بأصحابها و التبرك بهم كما في زيارة قبور الانبياء و الاولياء و اما الاعتبار

بالقوم الماضين تمكينا للخشوع من قلبه و نيلا للأجر بقراءة الفاتحة و الدعاء لهم بالمغفرة كما في زيارة قبور سائر المسلمين. أو يقصد تذكر من مات من ذويه الأقربين. و أحبائه الراحلين. و أعزته الذين غالتهم يد المنون فاسكنتهم القبور بعد القصور فذهبوا عنه ذهابًا ليس وراءه اياب و غادروه كئيبا يندب الأسى و لسان حاله يقول

ألا يا راحلا عنا مجدا * على مهل فديتك من مجد

فلا تعجل و سر سير الهوينا * لأنك راحل من غير عود

و تدفعه احساساته الى زيارة قبورهم فيقف على دوارس احداثهم حزينا يسكب على ترابها عبرات الأسف و لسان حاله ينشد

ذهب الذين أحبهم * و بقيت مثل السيف فردا

كم من أخ لي صالح * بوأته بيدي لحدا

و ليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم الذي شهد أن لا اله الاّ الله و أن محمدا رسول الله و لا أظن أن الجاهل الغر من الناس فضلا عن العالم المتشرع تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته و أن يعتقد كونه يقضي حاجته فيخلق له ما يريد

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**انّي كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها تزهد في الدنيا و تذكر الآخرة**) رواه ابن ماجة كما في المشكاة

أما شد الرحال الى زيارة القبور فمما اختلف فيه العلماء فحرمه بعضهم استدلالا بقوله عليه الصلاة و السلام (**لا تشد الرحال الاّ الى ثلاثة مساجد الى المسجد الحرام و الى مسجدي هذا و الى المسجد الاقصى**) رواه الشيخان و الترمذي و اختار التحريم القاضي حسين و القاضي عياض و جوزه آخرون منهم امام الحرمين و غيره من المشايخ و استدلوا على الجواز بقوله عليه الصلاة و السلام (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها**) فقالوا قد أمر النبي صلى الله عليه و سلم في هذا الحديث بزيارة القبور و لم يفرق بين زيارة القريب منها و البعيد الذي تشد اليه الرحال قالوا و أما حديث (**لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد**) فانما منع فيه شد الرحال الى المساجد لا الى المشاهد كما هو الصريح منه و انما منع عن شد الرحال الى المساجد لأنها متماثلة فلا يخلو بلد من مسجد فلا حاجة الي الرحلة و ليست كذلك المشاهد فانها غير متساوية في البركة كما أن درجات أصحابها متفاوتة عند الله تعالى و

لا شك أن الاستثناء في قوله الاّ الى ثلاثة مساجد مفرغ فيكون تقديره. اما بالجنس البعيد كأن يقال لا تشد الرحال الى موضع الاّ الى ثلاثة مساجد و عليه فيلزم منع السفر الى كل موضع عدا المستثنى فيحرم حينئذ شد الرحل حتى للجهاد و للتجارة و طلب الرزق و اقتناء العلم و للنزهة و غير ذلك و ليس الامر كذلك. و اما بالجنس القريب كأن يقال لا تشد الرحال الى مسجد الاّ الى ثلاثة مساجد و هذا هو الصحيح و عليه فيكون الحديث خاصا بمنع شد الرحال الى المساجد فقط

و يدل على جواز شد الرحال لزيارة القبور ما قاله عمر رضى الله عنه بعد فتح الشام لكعب الاحبار يا كعب ألا تريد أن تأتى معنا الى المدينة فتزور سيد المرسلين قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أفعل ذلك و كذا يدل عليه مجئ بلال رضى الله عنه من الشام الى المدينة لزيارة قبره عليه الصلاة و السلام و ذلك في خلافة عمر رضى الله عنه

و من القائلين بالجواز الامام النووي و القسطلاني و الامام الغزالي فقد قال في (**احيائه**) بعد أن ذكر حديث لا تشد الرحال ما ملخصه استدل به بعضهم على المنع من الرحلة لزيارة المشاهد و يتبين لي أن الامر ليس كذلك بل الزيارة مأمور بها بخبر (**كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها**) و الحديث انما ورد نهيا عن الشد لغير الثلاثة من المساجد لتماثلها و لا بلد الاّ فيها مسجد فلا حاجة للرحلة الى مسجد آخر و أما المشاهد فيتفاوت بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله

و أما كون الاموات يسمعون أو لا يسمعون فنقول فيه من المعلوم أن سماع الاحياء انما هو في الحقيقة للروح و انما الاذن آلة له ليس الا و حيث أن الميت لا تفنى روحه بفناء جسده فلا يبعد أن تسمع روحه لا يقال انها لا تسمع لفقد آلة السماع منها بدثور الجسد لأنا نقول انها قد تسمع بدون تلك الآلة كما في الرؤيا فان الروح تكلم و تسمع في منامها كما تبصر فيه من غير وساطة آلة من حواسها فهل يستبعد العاقل بعد أن يسمع و يبصر في منامه مع علمه أن ذلك بمجرد روحه من دون أن يكون لحواسه أدنى دخل و تسبب أن الروح بعد تجردها من الجسد تكون سامعة مبصرة بدون الة السمع و البصر على أن الوهابية لا يسعها نفي سماع الشهداء الذين ثبت كونهم أحياء لقوله تعالى (**وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** * آل عمران: ١٦٩) و مما لا ريب فيه أن درجة الانبياء ليست دون درجة الشهداء فهم مثلهم أحياء عند ربهم يرزقون و قد روى عن النبي

صلى الله عليه و سلم أنه قال (**مررت بموسى ليلة أسرى بي و هو قائم يصلي في قبره**) و عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال (**الانبياء أحياء في قبورهم**) رواه الموصلي و البزار و عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال (**رأيت عيسى و موسى و ابراهيم عليهم الصلاة و السلام**) رواه الشيخان و مالك في الموطأ و روى أبوبكر احمد بن الحسين البيهقي في شعب الايمان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**من صلى عليّ عند قبري سمعته و من صلي عليّ نائيا أبلغته**) فاذا ثبت أن الانبياء أحياء ثبت لهم السماع الذي هو من لوازم الحياة

لا يقال ان حياة الانبياء و الشهداء البرزخية غير الحياة الدنيوية فلا تنطبق هذه على تلك لأنا نقول لو سلمنا أن تلك الحياة ليست من نوع الحياة الدنيا فمجرد ثبوت الحياة لهم أى حياة كانت كاف لثبوت السماع لهم و جواز التوسل و الاستغاثة بهم على أن آلة السماع في الانبياء لا تنعدم بالموت لأن أجسادهم لا تبلى فقد ورد في الحديث الشريف أنه (**حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء**) و لو أرخينا العنان فصدقنا أن أجسادهم تبلى في قبورهم كما تزعمه الوهابية و قد ثبتت لهم الحياة و أنهم يرزقون لكان ذلك مثبتا لسماعهم بدون آلة على الوجه الذي بيناه آنفا

و أما غير الانبياء و الشهداء من الاموات فقد ورد في الاحاديث ما يدل على سماعهم روى البخاري و مسلم و أصحاب السنن من حديث ابن عمر قال اطلع رسول الله صلى الله عليه و سلم على أهل القليب فقال (**وجدتم ما وعدكم ربكم حقا**) فقيل له أتدعو أمواتا فقال (**ما أنتم بأسمع منهم و لكن لا يجيبون**) و في الصحيحين من حديث أنس عن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ناداهم (**يا أباجهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد وجدت ما وعدني ربي حقا**) فقال له عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها قال (**و الذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول فيها منهم**) و كذلك قد ثبت في الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (**ان العبد اذا وضع في قبره و تولى عنه أصحابه ليسمع قرع نعالهم**) و ذكر الاصبهاني باسناده عن عبيد بن مرزوق قال كانت امرأة بالمدينة يقال لها أم محجن تقم المسجد فماتت فلم يعلم النبي صلى الله عليه و سلم فمر على قبرها فقال ما هذا فقالوا

أم محجن قال التي كانت تقم المسجد قالوا نعم فصف الناس فصلى عليها ثم قال (**أي العمل وجدت أفضل**) قالوا يا رسول الله أتسمع قال (**ما أنتم بأسمع منها**) فذكر أنها أجابته. قم المسجد. و هذا الحديث مرسل الى غير ذلك من الاحاديث

و اما ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها لما سمعت حديث سماع الاموات أنكرته و قالت كيف يقول عليه الصلاة و السلام ذلك و قد قال الله تعالى (**وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ** * الفاطر: ٢٢) فهو لعدم ثبوت ذلك عندها كما نقل ذلك عن ابن تيمية في بعض فتاواه و غيرها لا يكون معذورا مثلها لأن هذه المسألة معلومة من الدين بالضرورة لا يجوز لأحد انكارها على أن عائشة رضى الله عنها قد روت عن النبي صلى الله عليه و سلم كما ذكره ابن رجب في أهوال القبور أنه قال (**انّهم ليعلمون الآن أن ما قلت لهم حق**) و روايتها هذه تؤيد رواية من روى أنهم يسمعون فان الميت اذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع فيلزم من اثبات العلم لهم اثبات السماع أيضا ضرورة

و اما قوله تعالى (**وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**) و قوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ اِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** * النمل: ٨٠) فليس فيه دلالة على نفي مطلق السماع عن الموتى و انما يدل على نفي السماع الذي ينتفع به و ذلك لان المراد بمن في القبور في الآية الأولى و بالموتى في الآية الثانية انما هم الكفار تشبيها لهم بمنفي القبور من الموتى فكما أن الموتى لا يسمعون سماعا نافعا و هو السماع الذي يتم به التخاطب بين السامع و المسموع منه كذلك الكفار لا يسمعون ما يلقيه النبي صلى الله عليه و سلم عليهم من الآيات في انذارهم سماعا نافعا يهتدون به الى الايمان و الاّ فمطلق السماع ثابت للكفار فانهم يسمعون ما يقوله النبي لهم و لكنهم لا ينتفعون بما يسمعونه و يؤيد هذا قوله تعالى (**وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لاَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ اَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا** * الأنفال: ٢٣) فان المراد بالسماع في قوله لاسمعهم هو السماع النافع و في قوله و لو أسمعهم هو السماع غير النافع و الاّ لفسد المعنى اذ تكون الآية حينئذ قياسا تكرر فيه الحد الأوسط فينتج برفعنا الحد الاوسط أنه لو علم الله فيهم خيرا لتولوا و هذا محال كما ترى اذ يلزم أن يقع منهم التولى الذى هو شر مع علم الله الخير فيهم فيكون علم الله جهلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا

و في الآيتين السابقتين مخرج ثان و هو أن المراد بالاسماع المنفي فيهما هو

اسماع الهداية كما يدل عليه مساق الآيتين فيكون المعنى انك لا تهدي بنفسك الكفار لانهم كالموتى و أنت لا تسمع بنفسك الموتى و انما المسمع اياهم هو الله تعالى و هذا كما في قوله تعالى (**اِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ اَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ** * القصص: ٥٦)

لا يقال انه كما أن مسمع الموتى في الحقيقة هو الله تعالى كذلك أن مسمع الاحياء في الحقيقة ليس غيره لأن الله تعالى هو الخالق لجميع الافعال كما هو المذهب الحق فما وجه التمثيل بالموتى

لانا نقول اما اولا فان كون الله تعالى وحده هو المسمع للموتى أمر لا يلتبس حتى على العامي و أما كونه تعالى هو المسمع للاحياء في الحقيقة فليس كذلك لأنه قد يظن أن المسمع للمخاطب هو المتكلم لما يرى من ان سماع المخاطب يعقب الصوت الخارج من فم المتكلم فلا يكون التمثيل بالاحياء لائقا و ذلك لان التمثيل يقتضي أن يكون الممثل به واضحا أمره و هو في الاحياء ليس كذلك كما بيناه و اما ثانيا فان الكفار لما كانوا احياء فتمثيلهم في عدم اسماع النبي اياهم بالاحياء في عدم اسماعه اياهم أيضا قريب من تشبيه الشئ بنفسه فيكاد يكون من قبيل قول الشاعر

كأننا و الماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

أجابت الوهابية عن حديث أهل القليب بأن سماع الموتى حين سؤال النبي صلى الله عليه و سلم اياهم كان معجزة له فلا يدل انهم يسمعون كلام غيره أيضا و الجواب ان المعجزة لا تكون معجزة الاّ اذا ظهرت لغير مظهرها كتكلم الحصى فان الصحابة رضى الله عنهم كانوا يسمعون صوت تسبيحه في كفه صلى الله عليه و سلم و لا يمكن ههنا أن يكون سماع الاموات كلام النبي صلى الله عليه و سلم معجزة لانه لم يظهر لغيره صلى الله عليه و سلم و أيضا ينافي كون ذلك معجزة حديث انه ليسمع قرع نعالهم فانه يدل على انهم يسمعون كلام غير النبي أيضا

و أجابت الوهابية أيضا بأن المقصود من تكليم النبي للموتى هو وعظ الاحياء لا افهام الموتى و الجواب انه لو كان المقصود بتكليمه عليه الصلاة و السلام هو وعظ الاحياء لما سأله عمر رضى الله عنه كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها متعجبا من تكليمه اياهم و لا أظن أن الوهابية يدفعها السفه أن تعتقد أنها فهمت بعد الف و نيف من السنين مراد النبي صلى الله عليه و سلم أكثر من صاحبه عمر رضى الله عنه و أيضا ينافي كون المقصود بذلك هو الوعظ جواب النبي صلى الله عليه و سلم لعمر بقوله ما

أنتم بأسمع منهم فان جوابه هذا لا يصلح ان يكون وعظا بل هو صريح رد على استبعاد عمر و تعجبه من ذلك كما لا يخفى

و أجابت الوهابية أن النبى عليه الصلاة و السلام انما كلم الاموات اعتقادا منه أنهم يسمعون فنزلت الآيتان تصحيحا لاعتقاده و الجواب أن النبى صلى الله عليه و سلم لا يجوز أن يعتقد مثل ذلك من تلقاء نفسه بل لابدّ ان يكون بوحي و الهام من ربه فقد قال تعالى (**وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى اِنْ هُوَ اِلاَّ وَحْيٌ يوُحَى** * النجم: ٣-٤) سيما و ان الأمر ليس مما يتوصل الانسان الى معرفته بمجرد عقله بل هو مما ينافي العقل في الظاهر فلا تمكن معرفته الاّ بالنقل و ذلك بطريق الوحي أو الالهام كما أبنا

و من الادلة على أن الله تعالى يحيى الموتى في قبورهم فيسمعون قوله تعالى حكاية على سبيل التصديق (**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ اَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** * الغافر: ١١) فالمراد باحدى الاماتتين الاماتة قبل مزار القبور و بالاخرى الاماتة بعد مزار القبور فانهم لو لم يحيون في القبور ثانية ما صحت اماتتهم ثانية. و اما جواب الوهابية ان الاماتة الاولى هي حال العدم قبل الخلق و الثانية الاماتة بعد الخلق فمما يضحك الصبيان لأن الاماتة لا تكون الاّ بعد الحياة و لا حياة قبل أن يخلق الله الحياة. و أما جوابها ان الاماتة الاولى هي اماتة الناس بعد حياتهم في عالم الذّرّ فهو وهن من جوابها الأولى لأن الناس في عالم الذّرّ لم يكونوا غير أرواح خلقها الله تعالى فسألهم ألست بربكم فأجابوا قائلين بلى و أنت تعلم أن الموت عبارة عن مفارقة الروح للجسد و حيث لا جسد فلا موت نعم يجوز أن يفنى الله الارواح بعد خلقها في عالم الذر و لكن ذلك ليس من الموت في شئ لما تقدم

و استدلت الوهابية على عدم سماع الموتى بالحكم الشرعي الذي أطبق العلماء عليه من أن الرجل لو قال ان كلمت فلانا فامرأتي طالق أو أمتي حرة و كلمه ميتا لا يقع الطلاق و لا العتق قالوا و هذا مبني على عدم سماع الميت عندهم (و الجواب) لا نسلم أنه مبني على عدم سماع الميت عندهم بل هو مبني على ما يعرفون من أن العادة جارية بتقييد مثل تلك اليمين بالحياة على أن فائدة الكلام هو حصول التخاطب و حيث أن التخاطب لا يتم مع الميت فالكلام معه لا يكون كلاما اذ لا قدرة فيه على الجواب لا لأنه لا يسمع الكلام

الوهابية و تكفيرها الحالف بغير الله و الناذر و الذابح

قاتل الله الوهابية انها تتحرى في كل أمر أسباب تكفير المسلمين مما يثبت أن همها الاكبر هو تكفيرهم لا غير فتراها تكفر من يتوسل الى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه و سلم و يستعين باستشفاعه الى الله تعالى على قضاء حوائجه و هى لا تخجل اذ تستعين بدولة الكفر على قضاء حاجتها التي هي قهر المسلمين و حربهم و شق عصاهم و المروق عن طاعة أمير المؤمنين. الذي أمر الله تعالى في كتابه المبين. بلزوم طاعته كما بسطناه في مقدمات الرسالة و تتخذ أعداء الدين أولياء تستمد منهم في احضار القوى التي تسعى بها الى الفساد. و تلج بها في الغواية و العناد. قال الله تعالى (**يَآ اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى اَوْلِيَآءَ** * المائدة: ٥١). سحقا للوهابية انها لا تدري أن أولئك الاولياء الذين تتخذهم ذريعة لقهر المسلمين اذا ثبت قدمهم فانهم يقهرونها و يهتضمونها أيضا مع من تعده خصما مخالفا لمذهبها

مر غير مرة ان ديدن الوهابية تكفير كافة المسلمين بكل أمر فهي تكفرهم لتوسلهم بجاه الانبياء و الاولياء و ندائهم و تكفرهم بالحلف بغير الله و النذر لذلك الغير و الذبح له و لو سلمنا أن في بعض الاقوال التي تنسبها الوهابية الى المسلمين كفرا يصح أن يقال فيه ان قائل هذا القول يكفر لما صح أن تكفر جميع الامة أو تكفر شخصا معينا قال ذلك القول فقد يكون القائل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق او لم تثبت عنده او لم يتمكن من معرفتها و فهمها أو يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله تعالى فيها فالذي يؤمن بالله و رسوله فان الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية و العملية. و أما ما نزل من الآيات في التشديد على مقترفي تلك الذنوب فهي للوعيد كقوله تعالى (**وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** * النساء: ٩٣) (**اِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ اَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا اِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** * النساء: ١٠) و قوله تعالى (**وَ مَنْ يَعْصِ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا** * النساء: ١٤) الى غير ذلك من الآيات

قال ابن القيم في (**مدارج السالكين**) ما ملخصه ان أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى و عداوة من وجهين مختلفين و قد يكون فيه ايمان و نفاق و ايمان و كفر و يكون أحدهما اقرب اليه من الآخر فيكون من اهله قال الله تعالى (**هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلاِيمَانِ** * آل عمران: ١٦٧) هذا و الشرك قسمان خفي و جلي فالخفي قد يغفر و الجلي لا يغفر الاّ بالتوبة

اما الحلف بغير الله تعالى فلا يخرج مرتكبه عن الاسلام فانه و ان ورد من حديث ابن عمر أنّه (**من حلف بغير الله فقد أشرك**) و في رواية (**من حلف بغير الله فقد كفر**) قد حمله أئمة الحديث من شافعية و حنفية و حنابلة و مالكية على أن المقصود به كفر النعمة و الشرك الخفي كالشرك الحاصل بالرياء و ذلك لا يخرج عن الاسلام انما يحبط العمل فقط كما وقع عليه الاجماع حتى أن أصحاب الشافعي قالوا بأنه مكروه تتريها لا تحريما فالحلف الذي قد اختلف فيه العلماء أنه مكروه أو حرام لا يجوز أن يقال في مرتكبه أنه كافر خارج عن الاسلام و أما النذر لغير الله فقد صرح الشيخ تقي الدين ابن تيمية و ابن القيم و هما من أعظم من شدد فيه بعدم جوازه و كونه معصية لا أنه كفر و شرك مخرج عن الاسلام فلا يجوز الوفاء به و لو تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء كان خيرا له عند الله فلو كان الناذر لغير الله كافرا لما أمراه بالصدقة لان الصدقة لا تقبل من الكافر بل أمراه بتجديد اسلامه و أما الذبح لغير الله فقد ذكره ابن القيم في المحرمات لا في المكفرات الاّ اذا ذبح لما عبد من دون الله و كذلك أهل العلم ذكروا أنه مما أهل به لغير الله و لم يكفروا صاحبه

لقد تم ما أردت تنميقه في هذه العجالة منعا لاتساع المذهب الوهابي و انتشاره في بغداد. و ما جاورها من البلاد. كي يتضح الحق لعين القارئ و ينجلى له الصواب فلا يغير بما نشرته هذه الفرقة المارقة و موهت به على البسطاء و الجاهلين و قد ساعدني في تأليفها و تنميقها حضرة أخي و صاحبي العلامة (معروف افندي الرصافي) دام في حفظ الباري. و الحمد لله اولا و آخرا

الفقير اليه تعالى زهاوي زاده

جميل صدقي

بغداد في غرة رمضان سنة ١٣٢٢ هجرية

و لما تم طبع هذا الكتاب بغاية الاتقان. قرظه حضرة الفاضل الشيخ عبد الصمد بن أحمد السنان

نحمدك يا من أمرتنا بابتغاء الوسيلة اليك. و نشكرك معترفين بالعجز عن احصاء الثناء عليك. و نصلي و نسلم على صاحب الشفاعة العظمى يوم يقوم الحساب. سيدنا و مولانا محمد و على اله و أصحابه المقربين الأحباب (و بعد) فقد اطلعت على هذا الكتاب الفائقة معانيه. البديعة أساليبه الرائقة مبانيه. فألفيته وحيدا في

بابه. مفيدا لطلابه. و كيف لا و مؤلف حضرة الاديب الذي ارتضع من البلاغة اخلافها. و الاريب الذي انتجع من الفصاحة اكنافها

خدن الكمال الزهاوي الذي حسدت * أم المعالي عليه سائر الامم

فلا بدع اذا تطفلت على موائد واصفيه. قائلا لكل من أمعن صائب النظر فيه

قل لقوم توهموا الرشد غيا * و لهم قد غدا الرجيم وليا

ذا كتاب لغيكم جاء يمحو * و عليكم يحل خزيا جليا

صاغه فاضل تدفق علما * وسما بيننا مكانا عليا

ذاك حبر الزمان من بالزهاوي * قام يدعى موفقا مرضيا

فجزاه الاله خيرا و أحيا * ه ليحيى به الرشاد مليا

و بهذا الكتاب في كل عصر * جعل النفع وافرا و وفيا

فهو نعم الكتاب ما جاء فيه * ذلك اللوذعي شيئا فريا

فاتخذه لردع كل غوى * يا أخا العقل صارما هنديا

و ادع بالخير للمؤلف و القا * ئم بالطبع بكرة و عشيا

و لذى اللب و الحجا قل و أرخ * طبع ذا الفجر جاك طبعا سنيا

١٣٢٣ هـ. [١٩٠٥ م.] ٨١ ٧٠١ ٣١٤ ٢٤ ٨٢ ١٢١

ضياء الصدور

لمنكري التوسل بأهل القبور

ظاهرشاه ميان ابن عبد العظيم

ميان مدين ضلع سوات

بســـــم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي هدانا الى الصراط المستقيم و الصلاة و السلام على سيد الانبياء و المرسلين و على آله و اصحابه الذين هم نجوم الهداية و اليقين اما بعد فيقول العبد المفتقر ظاهرشاه ميان المديني الحنفي القادري المياجوخيلي.

هل التوسّل بالأنبياء و الأولياء جائز ام لا ؟

اعلم ان التوسل بالأنبياء و الأولياء جائز فان المتوسل بالأنبياء و الأولياء لا يعتقد و لا يخطر على باله ان الأنبياء او الأولياء يقضون له حاجة يتوسل بهم الى الله تعالى ان يقضيها له و انما الذي يعتقده و يعمله و ينطق به كل متوسل ان قضاء الحوائج بيد ربّ العالمين لا يسأل في قضائها غيره و لا يقضيها سواه و ليس لمخلوق كائنا من كان ان يقضي حاجة بمعنى يخلقها و يوجدها مستقلا هذا ما عليه المسلمون صغيرهم و كبيرهم ذكرهم و اناثهم و ابيضهم و اسودهم، شرقيهم و غربيهم ليس في عقائدهم ان لغيره تعالى حظًا من الايجاد و الخلق.

و صرح الشيخ مصطفى أبوالسيف الحمامي احد علماء الازهر و خطيب المسجد الزينبي في غوث العباد (و اِذَنْ من الاضاحيك ان يقول قائل ان التوسل جائز اذا كان بالاحياء و ليس بجائز اذا كان بالاموات فان هذا القول يشم منه رائحة ان الحي لحياته يعمل. فيمكن ان يقضي الحاجات و ان الميت لموته لا يعمل فلا يقضي الحاجات هذا ليس من عقائد المسلمين و لا يعرفه صغير منهم و لا كبير). و التوسل الى الله تعالى في الحاجات ببركة الانبياء و الاولياء و بحرمتهم و شرفهم و قربهم من الله حين الحياة و بعد الوفاة فانه قد انكرعنه مفرطوا زماننا و لنذكر قدرا ضروريا من ذلك ليصير تبصرا لمن اراد ان يتبصر و تذكرًا لمن اراد ان يتذكر و الله الهادي الى سواء السبيل. فاعلم ان اثبات المسئلة يحتاج الى تحقيق لفظ الوسيلة و البركة فان مدار المسئلة نفيا و اثباتا على هذا و المقاصد مبنية على المبادئ كما ان المسائل بالوسائل و الوسيلة بمعنى ما يتقرب به مصرح في تفسير روح المعاني [مؤلف تفسير روح المعانى محمود الآلوسي توفى سنة ١٢٧٠ هـ. [١٨٥٤ م.] في بغداد] و كذا في تاج اللغة فانه ذكر فيه التوسل نزديكى جستن و الوسيلة بمعنى الذريعة لها شواهد كثيرة في كتب الفن كما في التلويح اذ العمل هو الوسيلة الى نيل الحاجات و رفع الدرجات و البركة معناها الزيادة ثم صرح استادنا حمد الله احد علماء السرحد في (**البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر**) و مما جاء البركة بمعنى كثرة الخير قوله (**حم * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ** * الدُّخان: ١–٣) قال في المدارك [مؤلف تفسير المدارك عبد الله النسفي توفى سنة ٧١٠ هـ. [١٣١٠ م.] في بغداد] كثيرة النفع و الخير فعلم منه ان البركة بهذا المعنى توصف بها الليلة و كذا قوله تعالى (**وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً** * المؤمنون: ١٨) مباركا فعلم ان البركة توصف بها الشجرة و كذا قوله تعالى (**مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ** * النور: ٣٥) فعلم

ان البركة توصف بها الشجرة و كذا قوله تعالى (**اِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ** * طه: ١٢) قال السيوطي في تفسيره [جلال الدين عبد الرحمن بن محمد الشافعي توفى سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٥ م.] في مصر] المطهر او المبارك فعلم ان البركة توصف بها (**الوادي**) و كذا قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام (**وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ** * مريم: ٣١) فعلم ان البركة توصف الذوات الفاضلة و لو تتبعت محاورات القرآن و الحديث وجدت البركة يوصف بها الطعام و المال و الاولاد كما في الدعاء المأثور (**اللهم بارك في ماله و اولاده و عمره**) و كما في (**اللهم بارك على محمد**) انتهى. فعليك بالاستقراء في القرآن و كتب الحديث سيما كتاب الاطعمة. و فيما ذكرنا كفاية للبيب الحنيف نعم بين بركة الخالق و المخلوق فرق فان بركة الخالق ذاتي و بركة المخلوق مستعار و كم من فرق بين ما بالذات و ما بالعرض و هكذا كل الصفات فان الاشتراك في الصفات فيما بين الواجب و الممكن اسمي لا حقيقي كما هو مشروح في كتب الكلام في بحث الصفات و لذا فسر في المدارك (**تبارك**) اي تعاظم عن صفات المخلوقين.

فالحاصل ان البركة لها معان جمة يراد في كل مقام ما يناسبه و لذا قال الشيخ [الشيخ عبد الحق الدهلوى توفى سنة ١٠٥٢ هـ. [١٦٤٢ م.] في دلهى] في اشعة اللمعات في معنى قوله عليه الصلاة و السلام (**انكم ترزقون بضعفاءكم و فقراءكم**) اي به بركت فقراء و من الآيات التي جاء التصريح فيها بالتوسل كقوله تعالى (**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** * البقرة: ٣٧) قال الامام ابو الليث [نصر بن محمد ابو الليث السمرقندي مات سنة ٣٧٣ هـ. [٩٨٣ م.]] في تفسيره (اللهم بحق محمد الاّ ما غفرت لي). و قال السيوطي في الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور اخرج ابن المنذر [محمد بن ابراهيم ابن المنذر مات سنة ٣١٩ هـ. [٩٣١ م.]] عن محمد بن على بن الحسين بن على قال لما اصاب آدم الخطيئة عظم كربه و اشتد ندمه فجاء جبرائيل فقال يا آدم هل اعلمك دعاء و من جملة (اللهم اسئلك بجاه محمد عبدك وكرامة عليك ان تغفر لي خطيئتي) الحديث و قال ايضا في تفسيره و اخرج الديلمي [ابو نصر شهردار بن شيرويه مات سنة ٥٥٨ هـ. [١١٦٣ م.]] في مسند الفردوس عن على قال سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قول الله تعالى (**فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه**) فقال (**اللهم اسئلك بحق محمد**) الحديث ثم قال اخرج ابن النجار عن ابن عباس قال سألت رسول

الله صلى الله عليه و سلم من (الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه) قال (سئل بحق محمد و على و فاطمة و حسن و حسين الاّ تبت على فتاب عليه) قال الامام البيهقي [ابوبكر احمد بن حسين البيهقي مات سنة ٤٥٨ هـ. [١٠٦٦ م.]] و عن عمر بن الخطاب ان آدم لما اقترف الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد مما غفرت لي قال الله تعالى يا آدم و كيف عرفت محمدا و لم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك و نفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوب لا اله الاّ الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الاّ احبّ الخلق اليك قال الله تعالى (يا آدم و اذا سألتني بحقه غفرت لك و لولا محمد ما خلقتك) و في قصيدة النعمان:

انت الذى لما توسل آدم * من زلة بك فاز و هو اباك

و هكذا في معارج النبوة [مؤلفه ملا مسكين محمد معين توفى سنة ٩٥٤ هـ. [١٥٤٧ م.]] قوله تعالى (**وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** * البقرة: ٨٩) و في البيضاوي [القاضي عبد الله بن عمر مات سنة ٦٨٥ هـ. [١٢٨٥ م.] في تبريز] يستنصرون على المشركين و يقولون (اللهم انصرنا بنبيّ آخر الزمان المنعوت في التوراة) و يفتحون عليهم و يعرفونهم ان نبيا يبعث فيهم و قد قرب زمانه و في الخازن [مؤلف تفسير الخازن علاء الدين البغدادي توفى سنة ٧٤١ هـ. [١٣٤٠ م.] فى حلب] اي يستنصرون به على مشرك العرب و ذلك انهم كانوا اذا احزنهم امر و دهمهم عدوّ يقولون اللّهمّ انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزّمان الذي نجد صفته في التوراة و كانوا ينصرون و في الكبير ففي سبب النزول وجوه: احدها انّ اليهود من قبل مبعث محمد و نزول القرآن كانوا يستفتحون اي يسألون الفتح و النصرة و كانوا يقولون اللهم افتح علينا و انصرنا بالنبي الامّيّ و في الجلالين يستنصرون على الذين كفروا و يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنّبيّ المبعوث في آخر الزمان و في الجمل اي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشرك العرب و هكذا في المدارك و روح البيان [صاحب هذا التفسير اسماعيل حقي البروسوي مات سنة ١١٣٧ هـ. [١٧٢٥ م.]] و غيرها من التفاسير و في فتح العزيز [مؤلف تفسير فتح العزيز عبد العزيز الدهلوي توفى سنة ١٢٣٩ هـ. [١٨٢٤ م.]] (يعنى و بودند اين يهوديان قبل از نزول اين كتاب معترف و مقرّ به نبوت اين شخص و بزركى او برجميع انبياء زيراكه در وقت جنك و خوف شكست بر خود يستفتحون يعنى طلب فتح و نصرت ميكردند ازجناب الهى بنام اين بيغمبر و ميدانستند كه نام او اين قدر

بركت دارد كه بسبب ذكر آن و توسل بآن فتح و نصرت حاصل ميشود). و إخرج إبن حميد و ابن جرير و ابونعيم عن قتادة قال كانت اليهود يستفتح بمحمد صلى الله عليه و سلم على كفار العرب و اخرج الحاكم و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فعاذت بهذا الدعاء اللهم انا نسئلك بحق النّبيّ الأمّيّ الذي وعدتنا ان تخرجه آخر الزّمان الاّ نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا هزموا غطفان. قوله تعالى (**وَ لَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) و في سنن الهدى في متابعة المصطفى ان رجلا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم جاء عند قبره و جعل يحثو التراب على رأسه و يقرأ هذه الآية و يقول يا رسول الله اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا و جئتك لاستغفر الله و استغفر لي ذنوبي من ربي فسمع صوتا من جانب القبر الشريف قال غفر الله لك كذا في مدارك التنزيل و نظام المقصود و جامع الخيرات ثم قال في سنن الهدى ان اعرابيًا جاء الى روضة النبي الطيبة المباركة صلى الله عليه و سلم فأنشد:

يا خير من دفنت في القاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع و الاكم
نفسي الفداء بقبر انت ساكنه * فيه العفاف و فيه الجود و الكرم
انت النبي الذي نرجوشفاعته * عند الصراط اذا ما زلت القدم
فصاحباك و لا انساهما ابدا * مني السلام عليكم ما جرى القلم

فهتف هاتف انا غفرناك بهذه الابيات فارجو من الله الكريم ولا غرو ان يغفر لقائل الابيات و كاتبها ان شاء الله الكريم كذا في تفسير ابن كثير [اسماعيل ابن كثير توفى سنة ٧٧٤ هـ. [١٣٧٢ م.] في الشام] بحث هذه الآية و كذا في معارج النبوة قوله تعالى (**يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ ابْتَغُوا اِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** * المائدة: ٣٥) و في الجلالين الوسيلة ما يقربكم اليه من طاعته كذا في الخطيب و غيره في الكبير الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه الخ فالوسيلة هي التي يتوسل بها الى المقصود و كذا في روح البيان. قوله تعالى (**وَ اِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ** * **وَ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ اَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** * **وَ مَا لَهُمْ اَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ** * الانفال: ٣٢- ٣٤) معد. و في الجلالين لان العذاب اذا نزل عم و لم تعذب امة الا بعد خروج نبيها و المؤمنين بها ثم قال تحت هذه (**و ما كان الله معذبهم و هم**

يستغفرون) حيث يقولون في طوافهم غفرانك و قيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى (**لَوْ تَزَيَّلوُا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَروُا مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا** * الفتح: ٢٥) لا يعذبهم الله بسبب المؤمنين و النبيين هذا توسل بالذوات الفواضل هم المانعون بعذاب الكفار في دار الدنيا. قوله تعالى (**لاَ يَمْلِكوُنَ الشَّفَاعَةَ الاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا** * مريم: ٨٧) قال البغوي [حسين بن مسعود محي السنة البغوي مات سنة ٥١٦ هـ. [١١٢٢ م.]] قول (**لا اله الاّ الله محمّد رسول الله**) قيل معناه لا يشفع الشافعون الاّ لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعني المؤمنين. قوله تعالى (**وَ لَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ اَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا** * الفتح: ٢٥) قوله تعالى (**وَ لَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ** * الحج: ٤٠) قال فخر الدين الرازي في تفسيره روى ابو الجوزاء عن ابن عباس قال يدفع الله بالمحسن عن المسيئ و بالذي يصلي عن الذي لا يصلي و بالذي يتصدق عن الذي لا يتصدق و بالذي يحج عن الذي لا يحج و عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم (**ان الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته و من جيرانه**) ثم تلا هذه الآية و من الاحاديث التي جاء التصريح فيها بالتوسل روى الإمام احمد في مسنده و رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فاقبل عليه فاذا ابو ايوب الانصاري فقال جئت رسول الله و لم آت الحجرة سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول (**لا تبكوا على الدّين اذا ولاّه اهله و لكن ابكوا على الدّين اذا ولاه غير اهله**) و في المسند للامام أحمد [أحمد ابن حنبل توفى سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.] في بغداد] عن امرأة من بني غفار و قد سماها لي امية بنت ابي الصلت ان النبي اعطاها قلادة من فيئ خيبر و وضعها بيده في عنقها قالت فو الله لا تفارقني ابدا فلما ماتت اوصت ان تدفن معها و روى القاضي عياض في الشفاء انه كانت في قلنسوة خالد بن وليد شعرات من شعره صلى الله عليه و سلم فسقطت قلنسوة في بعض حروبه فشد عليها شدة انكرعليه اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم من كثرة من قتل فيها فقال لو افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه و سلم لئلا اسلب بركتها و تقع في ايدي المشركين و عن ابي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا النبي صلى الله عليه و

سلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف فافعلوا فمطر مطرا شديدا حتى ينبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق رواه الدارمي و مشكوة المصابيح و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**الأبدال يكونون بالشام و هم اربعون رجلا يسقى بهم الغيث و ينتصر بهم على الاعداء و ينصرف عن أهل الشام بهم العذاب**) مشكوة المصابيح و عن انس ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس فقال اللّهمّ انّا كنّا نتوسل اليك بنبيّنا فتسقينا و انّا نتوسل اليك بعم نبيّنا فاسقنا فيسقوا رواه البخاري و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**من زار قبري وجبت له شفاعتي**) و في رواية (**حلت له شفاعتي**) رواه دارقطني و كثير من ائمة الحديث و قد اطال الامام السبكي في كتابه المسمى (**شفاء السقام في زيارة خير الانام**) في بيان طرق هذا الحديث و بيان من صححه من الائمة ثم ذكر روايات في احاديث الزيارة كلها تؤيد هذا الحديث منها رواية (**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**) و كذا في سنن الهدى في متابعة المصطفى و في رواية (**من جاءني زائرا لا تهمه حاجة الا زيارتي كان حقا على ان اكون له شفيعا يوم القيامة**) و في رواية (**من جاءني زائرا كان له حق على الله عزّ و جلّ ان اكون له شفيعا يوم القيامة**) و رواه الحافظ ابو نعيم، في عمل اليوم و الليلة من حديث ابي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه و سلم اذا خرج الى الصلاة قال (**اللهم اني اسئلك بحق السائلين**) الى آخر الحديث المتقدم و من الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي و النسائي و البيهقي و الطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف و هو صحابي مشهور رضي الله تعالى عنه ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال (**ان شئت دعوت و ان شئت صبرت و هو خير**) قال فادعه فأمره ان يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء (**اللهم اني اسألك و اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللّهمّ شفّعه فيّ**) فعاد و قد ابصر و في رواية قال ابن حنيف فو الله ما تفرقنا حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرّ قط ففي هذا الحديث التوسل و النداء ايضا و خرّج هذا الحديث ايضا البخاري في تأريخه و ابن ماجه و الحاكم في المستدرك باسناد صحيح و ذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير و الصغير و ليس لمنكر التوسل ان يقول ان هذا انما كان في حياة النبي

صلى الله عليه و سلم لان قوله ذلك غير مقبول لان هذا الدعاء استعمله الصحابة رضي الله عنهم و التابعون ايضا بعد وفاته صلى الله عليه و سلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني و البيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه و لا ينظر اليه في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال له ائت الميضاة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل (**اللّهمّ اني اسألك و اتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك لتقضى حاجتي**) و تذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم اتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فاخذ بيده فادخله على عثمان رضي الله عنه فاجلسه معه و قال له اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر لحاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف و الله ما كلمته و لكن شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم و اتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل و نداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و قد توسل به صلى الله عليه و سلم ابوه آدم عليه السلام قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم حين اكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها و كذا قال الحافظ الذهبي [محمّد الذهبي توفى سنة ٧٤٨ هـ. [١٣٤٧ م.] في مصر] عليك به فانه كلمة هدى و نور فرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب اسئلك بحق محمد**) الى آخر الحديث رواه الحاكم ايضا و صححه الطبراني و زاد فيه و هو آخر الانبياء من ذريتك.

الاستغاثة باحباب الله عند الشدائد

اعلم ان الاستغاثة باحباب الله تعالى كالانبياء و الاولياء و الصالحين جائز في حياتهم و بعد مماتهم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم و لا فرق بين التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل او التشفع او الاستغاثة او التوجه لان التوجه من الجاه و هو علو المنزلة و قد يتوسل بذي الجاه الى من هو اعلى منه جاها و الاستغاثة معناها طلب الغوث و المستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره و ان كان اعلى منه فالتوجه و الاستغاثة به صلى الله عليه و سلم و بغيرهما ليس لهما معنى في قلوب المسلمين الا طلب الغوث حقيقية من الله تعالى و مجازا بالتسبب العادي من غيره و لا يقصد احد من المسلمين غير ذلك المعنى فمن لم ينشرح لذلك صدره فليبك على

نفسه نسأل الله العافية فالمستغاث به في الحقيقة هو الله و اما النبي صلى الله عليه و سلم فهو واسطة بينه و بين المستغيث فهو مستغاث به حقيقة و الغوث منه بالخلق و الايجاد و النبي صلى الله عليه و سلم مستغاث به مجازا و الغوث منه بالكسب و التسبب العادي باعتبار توجهه و تشفعه عند الله لعلو منزلته و قدره فهو على حد قوله تعالى (**وَ مَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللهَ رَمَى** * الانفال: ١٧) اي و ما رميت خلقا و ايجادا اذ تسببا و كسبا و لكن الله رمى خلقا و ايجادا وكذا قوله تعالى (**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ** * الانفال: ١٧) و قوله صلى الله عليه و سلم (**ما انا حملتكم و لكن الله حملكم**) قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه في اشعة اللمعات من يستمد في حياته يستمد بعد مماته قال الشافعى رحمة الله عليه [محمد بن ادريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ. [٧٢٠ م.]] قبر موسى الكاظم [موسى الكاظم بن جعفر الصادق توفى سنة ١٨٣ هـ. [٧٩٩ م.] في بغداد] ترياق مجرب.

اقوال الحنفية

و في البريقة [مؤلفه محمد بن مصطفى الخادمي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ. [١٧٦٢ م.]] شرح الطريقة المحمدية يجوز التوسل و الاستغاثة بالانبياء و الصالحين بعد موقم لان المعجزة و الكرامة لا تنقطعان بالموت قال شاه ولي الله [شاه ولى الله احمد بن عبد الرحيم مات سنة ١٧٦١ هـ. [١١٧٦ م.]] في الهمعات حضرت شيخ عبد القادر در قبر خود تصرف ميكنند مثل احيائى و قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه يكى از مشائخ عظام كفته كه ديدم جهاركس از مشائخ كه تصرف كند در قبور خود يكى معروف كرخى و دوم حضرت عبد القادر جيلانى و قال جلال الدين في المثنوي

بيت:

هر كه را رفتار افلاكش بود * بر زمين رفتن جه دشوارش بود

و في قطب الارشاد قال سيدى احمد بن زروق شارح كتاب الحكم و هو من اعاظم الفقهاء و علماء الصوفية من ديار المغرب قال شيخ ابو العباس الحضرمي يوما امداد الحي اقوى ام امداد الميت قلت انهم يقولون امداد الحي ا قوى.

و انا اقول امداد الميت اقوى فقال لانه في بساط الحق قال في الكتاب حجة الاسرار و في نفحات الانس للشيخ عبد الرحمن الجامي رحمة الله عليه جنان معلوم شد

كه آن دو ديكر بزركوار شيخ عقيل سخي و شيخ حيات جيلاني است. قال سيد جمال المكي الحنفي في فتاوى اه.

سئلت عمن يقول في حال الشدائد يا رسول الله او يا على او يا شيخ عبد القادر مثلا هل هو جائز شرعا ام لا فاجبت نعم الاستغاثة بالإولياء و نداءهم و التوسل بهم امر مشروع و مرغوب لا ينكره الاّ مكابر او معاند و قد حرم بركة الاولياء الكرام و قال العلامة الرملي الحنفي في الفتاوى الخيرية قولهم يا شيخ عبد القادر نداء فما الموجب لحرمته انتهى. قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه انما اطنبنا الكلام في هذا المقام رغما لانف المنكرين فانه قد حدث في زماننا شرذمة ينكرون الاستمداد من الاولياء و يقولون ما يقولون و ما لهم على ذلك من علم ان هم الاخرصون و في جذب القلوب تمام اهل سنت و جماعت اعتقاد دارند به ثبوت ادراكات مثل علم سماع سامري در اموات و لكن النجدية يجحدون الحق و هم يعلمون و قال الامام ابوحنيفة رحمة الله عليه [ابوحنيفة نعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هــ. [٧٦٧ م.] ببغداد] عند حضور الروضة الشريفة:

يا اكرم الثقلين يا كنزالورى * جد لي بجودك و ارضني برضاك

انا طامع بالجود منك لم يكن * لابي حنيفة في الانام سواك

و قد جاءت صورة النداء ايضا في التشهد الذي يقرأه الانسان في كل صلاة حيث يقول السلام عليك ايها النبي و رحمة الله و بركاته و صح عن بلال بن الحرث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه.

اقوال الشافعية

و سئل شيخ الاسلام الشهاب الرملي الانصاري الشافعي عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان و نحو ذلك من الاستغاثة بالانبياء و المرسلين و الصالحين فاجاب انما نصه: الاستغاثة بالانبياء و المرسلين و الاولياء الصالحين جائزة بعد موتهم الخ. و في الطبراني انه صلى الله عليه و سلم قال (**اذا اضل احدكم شيئا او اراد عونا و هو بارض ليس فيها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني**) و في رواية (**اغيثوني فان لله عبادا لا تروهم**) قال العلامة ابن حجر في حاشية على ايضاح المناسك و هو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور قال شيخ الاسلام تقي الدين

السبكي [تقي الدين على بن عبد الكافي السبكي مات سنة ٧٥٦ هـ. [١٣٥٥ م.]] في كتاب شفاء السقام و يجوز التوسل بسائر عباد الله الصالحين و القول بالخصوص للنبي صلى الله عليه و سلم قول بلا دليل و قال العلامة ابن حجر لا ينكرها يعني الكرامة بعد الموت الاّ فاسد الاعتقاد و قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة ان الامام الشافعى رحمة الله عليه قال:

آل النبي ذريعتي * و هم اليه وسيلتي

ارجو بهم اعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

و قال العارف بالله الشيخ حسين الدجاني مفتي الشافعية:

يا خير مولى عن الجاني المسيئ عفا * و طاب من طيبه العرب البهاليل

ما ثم للعبد ملجا غير سيده * و ما له في سوى علياك تأميل

اقوال المالكية

قال العلامة ابوعبد الله محمد بن موسى المالكى [محمد بن موسى نعمان المالكي المراكشي توفى سنة ٦٨٣ هـ. [١٢٨٤ م.]] فى كتاب (**مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام**) ان كلا من الاستغاثة و التوسل و التشفع و التوجه واقع في كل حال قبل خلقه صلى الله عليه و سلم و بعد خلقه في مدة حياته و بعد موته في مدة البرزخ و في عرصات القيامة و قال ابن ابي جمرة المالكي رحمة الله عليه لما دخلتُ مسجد المدينة ما جلست الا الجلوس في الصلاة و ما زلت واقفا هناك حتى رحل الركب و لم اخرج الى البقيع و لا غيره و لم ار غيره صلى الله عليه و سلم و قد خطر لي ان اخرج الى البقيع فقلت الى اين اذهب هذا باب الله المفتوح للسائلين و الطالبين و المنكرين و المضطرين و الفقراء و المساكين و ليس ثمة من يقصد مثله و من الدلائل على جواز التوسل و الاستغاثة ما ذكره الشيخ احمد الصاوي [احمد بن محمد المالكي الصاوي المتوفى سنة ١٢٤١ هـ. [١٨٢٥ م.]] في سورة الكهف قال بعضهم علّموا اولادكم اسماء أهل الكهف فانها لوكتبت على باب داركم لم تحرق و على متاع لم يسرق و على مركب لم تغرق.

اقوال الحنابلة

قال عبد الحي بن عماد الدمشقي [ابوالفلاح عبد الحى بن عماد الدين الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة

١٠٨٩ هـ. [١٦٧٨ م.]] في كتاب (شذرات الذهب) ان أهل القبور بهم كرامة بعد الموت مسلّمة عند اكابر علماء المحدثين و لم ينكر ذلك الاّ رعاع الناس و جهلتهم قال الساوي الحنبلي في كتاب (المستوعب) ثم يأتى حائط القبر فيقف ناحيته و يجعل القبر تلقاء وجهه و القبلة خلف ظهره و المنبر عن يساره و ذكر السلام و الدعاء و منه اللّهمّ انك قلت في كتابك العزيز بنبيك عليه الصلاة و السلام (**وَ لَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ** * النساء: ٦٤) و اني اتيت نبيك مستغفرا فاسئلك ان توجب لي المغفرة كما اوجبتها لمن اتاه في حياته (**اللّهمّ اني اتوجه اليك بنبيك صلى الله عليه و سلم**) قال الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطاب ستة عشر عالما احاطيا، الدنيا و الآخرة عالم من هذه العوالم و هذا لا يعرفه الاّ من اتصف بالقطبية و كذا قال الامام الشعراني في كتاب (**اليواقيت و الجواهر**) و قال الامام احمد في المسند عن امرأة من بني غفار و قد سماها لي امية الخ و قال الشيخ عبد القادر الجيلي رحمة الله عليه في سر الاسرار فيما يحتاج اليه الابرار المؤمنون لا يموتون بل ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء و كقوله عليه افضل الصلاة و السلام (**الانبياء و الأولياء يصلون في قبووهم كما يصلون في بيوهم**).

حياة الأنبياء و الاولياء في البرزخ حياة حقيقية

اعلم ان حياة الانبياء و الاولياء ثابتة بالكتاب و السنة و الاجماع قال الله في القرآن الحميد (**وَ مَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** * الانبياء: ١٠٧) و قال العلامة السيد محمود الآلوسي البغدادي رحمة الله عليه في روح المعاني و كونه صلى الله عليه و سلم رحمة للجميع باعتبار انه صلى الله عليه و سلم واسطة الفيض الالهي على الممكنات على حسب القوابل و لذا كان نوره صلى الله عليه و سلم اول المخلوقات ففي الخبر (**اوّل ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر و جاء الله المعطي و انا القاسم**) ثم قال العلامة و الذي اختاره انه صلى الله عليه و سلم انما بعث رحمة لكل فرد من العالمين ملائكتهم و انسهم و جنهم و لا فرق بين المؤمن و الكافر من الانس و الجن في ذلك و الرحمة متفاوتة و قال الله تعالى (**وَ لاَ تَقُولوُا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتٌ بَلْ اَحْيَآءٌ وَ لَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ** * البقرة: ١٥٤) (**وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلوُا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَآءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ اَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** * آل عمران:

١٦٩-١٧٠) و اخرج البخاري و البيهقي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول في مرضه الذي توفي فيه (**لم ازل اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطع ابهري من ذلك السم**) و كذا في انباء الاذكياء و قال في الزرقاني [محمّد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي مات سنة ١١٢٢ هـ. [١٧١٠ م.]] و قد ثبت ان نبينا صلى الله عليه و سلم مات شهيدا لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سمّا قاتلا من ساعة حتى مات منه بشر بكسر الموحدة و سكون المعجمة ابن البراء بن معرور و صار بقاؤه صلى الله عليه و سلم معجزة فكان به الم السم يتعاهده احيانا الى ان مات به و اخرج احمد [الامام احمد بن حنبل توفى سنة ٢٤١ هـ. [٨٥٥ م.]] و ابويعلى و الطبراني و الحاكم في المستدرك و البيهقي في دلائل النبوة عن ابن مسعود قال لان احلف تسعا ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قتل قتلا احب اليّ من ان احلف واحدة انه لم يقتل و ذلك ان الله تعالى اتخذه نبيا و اتخذه شهيدا و كذا في الانباء الاذكياء فقد روى الترمذي و الحاكم و ابن مردويه و ابن نصر و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنه ان بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر و هو لا يحسب انه قبر انسان فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له (**هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر**) و هل يبقى من شك في حياة امرئ يقرأ القرآن يعبد الله تعالى بصوت مرتفع به لدرجة ان يسمعه من بينه و بينه حائل عظيم من اتربة و احجار قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه و حيات انبياء كامل تر از حيات شهداء است (**مدارج النبوة**) و في وفاء الوفاء للعلامة السمهودي [نورالدين على بن عبد الله توفى سنة ٩١١ هـ. [١٥٠٦ م.]] و لا شك في حياته صلى الله عليه و سلم بعد وفاته و كذا سائر الانبياء عليهم الصلاة و السلام احياء في قبورهم حياة اكمل من حياة الشهداء التي اخبر الله تعالى بها في كتابه العزيز و نبينا صلى الله عليه و سلم سيد الشهداء و اعمال الشهداء في ميزانه و قد قال صلى الله عليه و سلم (**علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي**) و في التفسير المظهري بل حياة الانبياء اقوى منهم و اشدّ ظهورا آثارها في الخارج حتى لا يجوز النكاح بازواج النبي صلى الله عليه و سلم بعد وفاته بخلاف الشهداء و الصديقين ايضا اعلى درجة من الشهداء و الصالحون يعني الاولياء ملحقون بهم كما يدل عليه الترتيب في قوله تعالى (**مِنَ النَّبِيِّنَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَآءِ وَ الصَّالِحِينَ** * النساء: ٦٩) قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**الأنبياء**

احياء في قبورهم يصلّون) و عن ابي الدرداء (**اكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة و ان احدا لن يصلي عليّ الاّ عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها)** قال قلت و بعد الموت قال (**و بعد الموت ان الله حرم على الأرض ان تأكل اجساد الانبياء فنبيّ الله حيّ يرزق)** (ابن ماجه) قال سعيد بن مسيب [مات سنة ٩١ هـ. [٧١٠ م.]] رضي الله عنه لقد رأيتني ليالي الحرة و ما في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم غيري و ما يأتي وقت الصلاة الاّ و سمعت الاذان من القبر و كذا في دلائل النبوة للعلامة ابونعيم و في الزرقاني على المواهب و في الفتاوى الرملية الانبياء و الشهداء و العلماء لا يبلون و الانبياء و الشهداء يأكلون في قبورهم و يشربون و يصلّون و يصومون و يحجون و قال شاه ولي الله في فيوض الحرمين ان الانبياء لا يموتون و انهم يصلّون و يحجون في قبورهم و انهم احياء و في التفسير المظهري ان الله تعالى يعطي لارواحهم قوة الاجساد فيذهبون من الارض و السماء و الجنة حيث يشاؤن و ينصرون اولياءهم و يدمرون اعداءهم ان شاء الله تعالى و في الحاوي للفتاوى نقلا عن الاستاذ ابومنصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الفقيه الاصولي شيخ الشافعية [توفى سنة ٤٢٠ هـ. [١٠٢٩ م.]] قال المتكلمون المحققون من اصحابنا ان نبينا صلى الله عليه و سلم حي بعد وفاته و انه يسرّ بطاعات امته و يحزن بمعاصي العصاة منهم و انه تبلغه صلاة من يصلي عليه من امته قال شيخ المحدثين شاه عبد الحق رحمة الله عليه حيات انبياء متفق عليه است هيج كسى را درو خلاف نيست حيات جسماني و دنياويئ حقيقى نه حيات معنوى روحانى ثم قال العلامة في المكاتيب على حاشية اخبار الاخيار و با جندين اختلاف و كثرت مذاهب كه در علماء امت است يك كس را درين مسئله خلاف نيست كه آنحضرت صلى الله عليه و سلم به حقيقت حيات بى شائبه مجاز و توهم تأويل دائم و باقيست و بر اعمال امت حاضر و ناظر است و في روح البيان قال امام الاولياء جنيد البغدادي [سيد الطائفة جنيد بن محمّد البغدادي مات ٢٩٨ هـ. [٩١١ م.]] من كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه و من كانت حياته بربّه فانه ينتقل من حياة الطبع الى حياة الأصل و هي الحياة الحقيقية و اذا كان القتيل بسيف الشريعة حيا مرزوقا فكيف من قتل بسيف الصدق و الحقيقة و في اشعة اللمعات اولياى خدا نقل كرده شدند ازين دار فانى به دار بقا و زنده اند نزد برورد كار خود و مرزوق اند و خوش حال اند و مردم را ازان شعور نيست و في المرقاة لا فرق لهم في الحالين و لذا قيل اولياء الله لا يموتون و لكن ينتقلون من دار الى

دار و كذا في ارشاد الطالبين لاخوت درويز رحمة الله عليه و في كشف الغطاء مذهب اعتزال است كه كويند ميّت جماد محض است و في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري قد أنكر عذاب القبر بعض المعتزلة و الروافض محتجين بان الميت جماد لا حياة له و لا ادراك و في جامع البركات اولياء را كرامات و تصرفات در اكوان حاصل است و آن نيست مكر ارواح ايشان را جون ارواح باقى است بعد از ممات نيز باشد قال شيخ المحدثين في اشعة اللمعات صالحان را مدد بليغ است زيارت كننده كان خودرا بر اندازه ادب ايشان قال العلامة التفتازاني في شرح المقاصد و لهذا ينتفع بزيارة قبور الابرار و الاستعانة من نفوس الاخيار الامام ابوعمر ابن عبد البرّ في كتاب الاستذكار و التمهيد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه و رد عليه السلام**) و ذكره الامام السيوطي في شرح الصدور و الفاضل الزرقاني في شرح المواهب و شيخ المحقق في جامع البركات و جذب القلوب ابن ابي الدنيا و البيهقي و الصابوني و ابن العساكر [علي بن حسن ابن عساكر الشافعي مات سنة ٥٧١ هـ. [١١٧٦ م.]] و خطيب البغدادي [حافظ احمد بن على البغدادي الشافعي مات سنة ٤٦٣ هـ. [١٧٠١ م.]] و غيرهم من المحدثين عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**اذا مرّ رجل بقبر يعرفه فسلّم عليه وعرفه و اذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلّم عليه و رد عليه السلام**) و قال الامام الطبراني باسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**يسمعون كما تسمعون و لكن لا يجيبون**) و في شرح الصدور قال الإمام اليافعي [عفيف الدين عبد الله بن اسعد اليافعي الشافعي مات سنة ٧٦٨ هـ. [١٣٦٧ م.]] رحمة الله عليه و من المشهور انّ الفقيه الكبير الوليّ الشهيد احمد بن موسى بن عجيل سمعه بعض الفقهاء الصالحين من قراءته يقرأ سورة النور في قبره و قال شاه ولي الله في انفاس العارفين ميفرمودند ديكر بار بزيارت مرقد منور ايشان رفتم روح ايشان ظاهر شد فرمودند ترا بسرى بيدا خواهد شد اورا قطب الدين احمد نام كن جون زوجه به سن اياس رسيده بود كمان كردم كه مراد بسر بسرست برين خطره مشرف شدند فرمودند اين مراد من نيست اين بسر از صلب تو خواهد بود بعد ازمانى داعيه تزوج ديكر بيدا شد و كاتب الحروف فقير وليّ الله متولد كشته در اول اين واقعه فراموش كردند بوليّ الله مسمى كردند و بعد از مدتى بياد امر نام ديكر قطب الدين احمد

مقرر کردند.

هل علم الغيب للأنبياء والأولياء جائز أم لا ؟

اعلم أن علم الغيب ثابت في القرآن ذاتي و عطائي والأيمان به فرض على جميع القران فالذاتي خاص لله تعالى و العطائي ثابت للأنبياء و الأولياء كما قال الله تعالى (**ذَلكَ منْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحيه اَلَيْكَ** * آل عمران: ٤٤) (**ذَلكَ منْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحيه اَلَيْكَ** * يوسف: ١٠٢) (**تلْكَ منْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحيهَا إِلَيْكَ** * هود: ٤٩) (**وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُطْلعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكنَّ اللهَ يَجْتَبِى منْ رُسُله مَنْ يَشَآءُ** * آل عمران: ١٧٩) (**وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظيمًا** * النساء: ١١٣) (**وَ لَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ علْمًا** * يوسف: ٢٢) (**فَوَجَدَا عَبْدًا منْ عبَادنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً منْ عندنَا وَ عَلَّمْنَاهُ منْ لَدُنَّا علْمًا** * الكهف: ٦٥) (**وَ لوُطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ علْمًا** * الأنبياء: ٧٤) (**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَ كُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَ علْمًا** * الأنبياء: ٧٩) (**وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَنَ علْمًا وَ قَالاَ الْحَمْدُ لله الَّذي فَضَّلَنَا عَلَى كَثيرٍ منْ عبَاده الْمُؤْمنينَ** * النمل: ١٥) (**وَ لَمَّا بَلَغَ اَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ علْمًا وَ كَذَلكَ نَجْزِي الْمُحْسنينَ** * القصص: ١٤) (**وَ مَا منْ غَآئبَةٍ في السَّمَآءِ وَ الْاَرْضِ الاَّ في كتَابٍ مُبينٍ** * النمل: ٧٥) (**عَالمُ الْغَيْب فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبه اَحَدًا** * **الاَّ مَنِ ارْتَضَى منْ رَسُولٍ** * الجن: ٢٦- ٢٧) (**وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنينٍ** * التكوير: ٢٤) وعلم الغيب للنبي كلي بالنسبة إلى علم المخلوق و جزئي بالنسبة إلى علم الله تعالى لان النبي صلى الله عليه و سلم علم باللوح المحفوظ وفيه كل شيئ إلى يوم القيامة أي ما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما قال صاحب البردة

مصرع:

و من علومك علم اللوح و القلم

و قال شيخ زاده [محمد بن مصطفى الشهير بشيخ زاده ألمتوفي سنة ٩٥١ هـ. [١٥٤٤ م.]] في شرح هذا البيت إن من تبعيضية اي علم اللوح بعض من علوم النبي صلى الله عليه و سلم فيزيد علمه صلى الله عليه وسلم بما كان و ما يكون و قال الله تعالى (**وَ لاَ يُحيطوُنَ بِشَيْئٍ منْ علْمه الاَّ بمَا شَاءَ** * البقرة: ٢٥٥) في معالم التنزيل يعني لا يحيطون بشيئ

من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرّسل قال صاحب الخازن يعني أن يطلعهم عليه وهم الأنبياء و الرّسل و ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال الله تعالى (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ اَحَدًا * اِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ** * الجن: ٢٦-٢٧) و قال صاحب الكبير لا يعلمون الغيب إلا عند اطلاع الله بعض أنبيائه على بعض الغيب كما قال (**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ اَحَدًا * اِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**) و في البيضاوي تحت هذه الآيات (**وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَآءُ** * آل عمران: ١٧٩) و ما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر و إيمان و لكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي الله و يخبره ببعض المغيبات و قال صاحب الخازن لكن الله يصطفي و يختار من رسله فيطلعه على ما يشاء من غيبه وفي الجمل المعنى لكن الله يجتبي أن يصطفي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب و في الجلالين و لكن الله يجتبي و يختار من يشاء فيطلع على غيبه كما اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على حال المنافقين و قال الشيخ احمد صاحب الصاوي على الجلالين: الا الرسل الذي يطلعهم على الغيب قال الله تعالى (**اَلرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْاِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** *الرحمن: ١-٤) و قال صاحب الخازن قيل المراد (**بالانسان**) محمد صلى الله عليه و سلم (**علمه البيان**) يعني بيان ما كان و ما يكون لانه ينبئ عن خبر الاولين و الآخرين و عن يوم الدين و في الحسيني آن علم ما كان و يكون هست كه حق سبحانه درشب اسرى بدان حضرت عطا فرمود وقال صاحب الصاوي قيل هو محمد صلى الله عليه و سلم لانه الانسان الكامل و المراد (بالبيان) علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن و كذا صرح به سيدي مولانا شيخ المحدثين غلام رسول لائلبورى و قال الله تعالى (**وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ** * التكوير: ٢٤) و قال صاحب الخازن يقول انه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم و يخبركم ولا يكتمه وقال الله تعالى (**وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ** * النّحل: ٨٩) و ما فرطنا في الكتاب من شيئ قال مجاهد و ابن سراقة رضي الله عنهما ما من شيئ في العالم إلا هو في كتاب الله (الاتقان).

و النبي صلى الله عليه و سلم علم باللوح المحفوظ و فيه كل شيئ إلى يوم القيامة كما قال الله تعالى (**وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ** * القمر: ٥٣) (**لاَ حَبَّةٍ فِي**

ظُلُمَاتِ الْاَرْضِ وَ لاَ رَطْبٍ وَ لاَ يَابِسٍ اِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * الانعام: ٥٩) (**لاَ اَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لاَ اَكْبَرَ اِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** * يونس: ٦١) (**وَ كُلُ شَيْءٍ اَحْصَيْنَاهُ فِى اِمَامٍ مُبِينٍ** * يس: ١٢) و قال سلطان الاولياء و برهان الاصفياء الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني في سرالإسرار قال عليه السلام إن من العلوم كهيئة المكنون لا يعلمها إلا العلماء بالله فاذا يطيقوا بها ما انكرها اهل العزة فالعارف يقول ما دونه و العالم يقول ما فوقه فان علم العارف سرالله تعالى و لا يعلمه غيره إلا بما شاء كما قال الله تعالى (**وَ لاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ اِلاَّ بِمَا شَاءَ** * البقرة: ٢٥٥) أي الانبياء و الاولياء فانه يعلم السر و أخفى و قال الله تعالى في القرآن القديم (**اَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ اِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيمَةِ يُرَدُّونَ اِلَى اَشَدِّ الْعَذَابِ** * البقرة: ٨٥) و في المشكوة عبد الرحمن بن عائش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**رأيت ربي عزّ و جلّ في احسن صورة قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت أنت اعلم قال فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماوات و ما في الأرض**) و تلا (**وَكَذَلِكَ نُرِى اِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** * الأنعام: ٧٥) و في المرقاة قال ابن حجر أي جميع الكائنات التي في السموات بل و ما فوقها كما يستفاد من قصة المعراج و الارض هي بمعنى الجنس اي و جميع ما في الارضين السبع بل و ما تحتها كما أفاده أخباره عليه السلام من الثور و الحوت الذين عليهما الارضون كلها يعني ان الله تعالى ارى ابراهيم عليه السلام ملكوت السماوات و الارض و كشفت له ذلك وفتح على أبواب الغيوب و في البخاري قال عمر قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم و أهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه و نسيه من نسيه قال الشيخ عبد الحق رحمة الله عليه فعلمت ما في السماوات و الأرض دانستم هرچه در آسمانها و هرچه در زمين بود عبادت است ازحصول تمام علوم جزئى وكلى و أحاطه آن و في المسلم عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إن حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه و قال في المسند و الطبراني قال أبوذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ما يحرك طائر جناحيه إلا ذكرنا منه علما و في المرقاة يخبركم بما مضى أي سبق من خبر الأولين من قبلكم و

ما هو كائن بعدكم أي من نبأ الآخرين في الدنيا و من أحوال الأجمعين في العقبى و في الزرقاني على المواهب قال الإمام القسطلاني قد اشتهر و انتشر أمره عليه الصلاة و السلام بين أصحابه بالاطلاع على الغيوب قال العلامة الزرقاني و قد تواترت الأخبار و اتفقت معانيها على اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيب قال الإمام الرباني المجدد لألف الثاني في المكتوبات هر علم غيب كه مخصوص باوست سبحانه خاص رسل را اطلاع مى بخشد وقال الشيخ عبدالحق رحمة الله عليه و وى صلى الله عليه وسلم داناست به همه جيزازشيونات و أحكام إلهى و أحكام صفات حق و أسماء و أفعال وآثار وبجميع علوم ظاهر وباطن و أول وآخر أحاطه نموده و مصداق (**فَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٍ** * يوسف: ٧٦) شدّه عليه من الصلوات أفضلها و من التحيات أتمها و أكملها (مدارج النبوة) و في الصاوي الحق انه لم يخرج نبينا صلى الله عليه و سلم من الدنيا حتى اطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكتمها و في تفسير الأحمدي و بك إن تقول إن علم هذه الخمسة و إن كان لا يملكه إلا الله لكن يجوز ان يعلمها من يشاء من محبيه و اوليائه بقرينة قوله تعالى (**انَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** * لقمن: ٣٤) على ان يكون الخبير بمعنى المخبر و قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في الفتح الرباني و اذا كان القطب اطلع على اعمال اهل الدنيا و اقسامهم و ما تؤول امورهم اليه و يطلع على خزائن الاسرار و لا يخفى عليه شئ في الدنيا من خير و شر لانه مفرد الملك بطانته نائب انبيائه و رسله امين المملكة فهذا هو العين القطب في زمانه و في فيوض الحرمين فاض على من خبابه المقدس صلى الله عليه و سلم كيفية ترقي العبد من حيّزه الى حيز القدس فتجلى له كل شيئ كما اخبر عن هذا المشهد في قصة المعراج المنامي ثم قال في موضع آخر العارف ينجذب الى حيز الحق فيصير عند الله فيتجلّى له كل شيئ كما ذكره مولانا شاه عبد العزيز اطلاع بر لوح محفوظ بمطالعه و ديدن نقوش نيز از بعضى اولياء بتواتر منقول است (تفسير عزيزى) و قال العارف الرومي في كتابه المعروف بالمثنوي:

كر جه هرغيبى خدا مارا نمود * دل دران لحظه بحق مشغول بود

و اما الذاتي خاص لله تعالى كما قال الله تعالى (**وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا الاَّ هُوَ** * الانعام: ٥٩) (**قُلْ لاَ اَقوُلُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَا ئِنُ اللهِ وَ لاَ اَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لاَ اَقوُلُ لَكُمْ اِنِّى مَلَكٌ** * الانعام: ٥٠) (**وَ لَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا**

مَسَّنِيَ السُّوءُ * الاعراف: ١٨٨) (**قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَ الْاَرْضِ الْغَيْبَ اِلاَّ اللّٰهُ** * النمل: ٦٥) (**اِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** * لقمن: ٣٤) و اما العطائي فثابت كما مر و قال صاحب الصاوي هذه الآية (**يَسْئَلوُنَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرْسٰيهَا** * الاعراف: ١٨٧) و الذي يجب الايمان به ان رسول الله صلى الله عليه و سلم لم ينتقل من الدنيا حتى اعلمه الله تعالى بجميع المغيبات التي تحصل في الدنيا و الآخرة فهو يعلمها كما هي عين اليقين لما ورد (**رفعت لي الدنيا فانظر فيها كما انظر الى كفي هذه**) و ورد انه اطلع على الجنة و ما فيها و النار و ما فيها و غير ذلك مما تواترت به الاخبار و لكن امر بكتمان البعض الصاوي جلد ٢.

و قال الصاوي تحت هذه الآية (**لَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ** * الاعراف: ١٨٨) ان قلت ان هذا يشكل مع تقدم لنا انه اطلع على جمع مغيبات الدنيا و الآخرة و الجواب انه قال ذلك تواضعا او ان علمه بالمغيب علم من حيث انه قدرت له على تعبّر ما قدر الله وقوعه فيكون معنى ايضا لو كان لي علم حقيقي بان اقدر على ما اريد وقوعه لاستكثرت من الخير و قال النووي في شرحه جلا منصب النبي صلى الله عليه و سلم الا علم الروح كيف قد كان اُوتيَ علم الاولين و الآخرين و ليس في الآية دليل على انه يعلمها (عيني جلد ٢) و منها ما ذكر في المرقاة اي بما ذكر و غيره من الجزئيات و الكليات الا يعلم من خلق خبير اي مطلع على خفايا الامور او مخبر من شاء من عباده بما شاء من اموره و لكن الوهابيون يجهلون.

تقبيل الابهامين عند سماع اشهد ان محمّدا رسول الله

فعلم ان تقبيل الابهامين عند ذكر اسمه صلى الله عليه و سلم في الاذان جائز بل هو مستحب صرّح به مشائخنا كما قال العلامة الفاضل الكامل الشيخ اسماعيل حقي رحمة الله عليه في روح البيان و في قصص الانبياء و غيرها ان آدم عليه السلام اشتاق الى لقاء محمّد صلى الله عليه وسلم حين كان في الجنة فاوحى الله تعالى اليه هو من صلبك و يظهر في آخر الزمان فسأل لقاء محمد صلى الله عليه و سلم حين كان في الجنة فاوحى الله تعالى اليه فجعل الله النور المحمّدي في اصبعه المسبّحة من يده اليمنى فسبح ذلك النور فلذلك سميت تلك الاصبع مسبحة كما في الروض الفائق او اظهر

الله تعالى جمال حبيبه في صفاء ظفري ابهاميه مثل المرآة فقبل آدم ظفري ابهاميه و مسح على عينيه فصار اصلا لذرّيّته فلما اخبر جبرائيل النبي صلى الله عليه و سلم بهذه القصة قال عليه السلام (**من سمع اسمي في الاذان فقبل ظفري ابهاميه و مسح على عينيه لم يعم ابدا**) و في شرح النقاية و اعلم انه يستحب ان يقال عند سماع الاولى من الشهادة صلى الله عليك يا رسول الله و عند الثانية منها قرة عيني بك يا رسول الله ثم يقال اللّهمّ متعني بالسمع و البصر بعد وضع ظفري الابهامين على العينين فانه صلى الله عليه و سلم يكون له قائدا الى الجنة قال القهستاني [شمس الدين محمّد بن حسام الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٦٢ هـ. [١٥٥٥ م.]] في شرحه الكبير نقلا عن كنز العباد اعلم انه يستحب ان يقال عند سماع الاولى من الشهادة الثانية صلى الله عليك يا رسول الله و عند سماع الثانية قرة عيني بك يارسول الله ثم يقال اللّهمّ متعني بالسمع و البصر بعد وضع ظفري الابهامين على العينين فانه صلى الله عليه و سلم قائد له الى الجنة و في روح البيان و حضرت الشيخ الامام ابوطالب محمّد بن على المكي [محمّد بن على ابوطالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦ هـ. [٩٩٦ م.]] رفع الله درجته در قوت القلوب روايت كرده از ابن عيينه كه حضرت بيغمبرعليه السلام بمسجد درآمد و ابوبكر رضي الله عنه ظفري ابهامين جشم خود را مسح كرد وكفت قرة عينى بك يا رسول الله و جون بلال رضي الله عنه از اذان فراغتى روى نمود حضرت رسول الله صلى الله عليه و سلم فرمودكه ابابكر هركه بكويد آنجه تو كفتى از روى شوق بلقاى من و بكند آنجه تو كردى خداى دركذرد كناهان ويرا آنجه باشد نو وكهنه و خطا و عمد و نهان و آشكارا قال صاحب المقاصد الحسنة في الاحاديث الدائرة على السنة قال العلامة شمس الدين نقلا عن الديلمي لما سمع قول المؤذن (**اشهد ان محمّدا رسول الله**) قال هذا و قبل باطن الانملتين السبابتين و مسح على عينيه فقال صلى الله عليه وسلم (**من فعل مثل ما فعل خليلي فقد حلّت له شفاعتي**) ثم نقلا عن موجبات الرحمة و عزائم المغفرة قال خضر عليه السلام من قال حين يسمع المؤذن يقول (**اشهد ان محمّدا رسول الله**) مرحبا بحبيبِي و قرة عيني محمّد بن عبد الله ثم يقبل ابهاميه و يجعلهما على عينيه لم يرمد ابدا ثم قال صاحب المقاصد الحسنة قال حسن عليه السلام من قال حين يسمع المؤذن يقول (**اشهد ان محمّدا رسول الله**) مرحبا بحبيبِي و قرة عيني محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم و يقبّل ابهاميه و يجعلهما على عينيه لم يعم و لم يرمد و قال شيخ المشائخ

رئيس المحققين سيد العلماء الحنفية بمكة المكرمة مولانا جمال بن عبد الله بن عمر المكي في الفتاوى: سئلت عن تقبيل الابهامين و وضعهما على العينين عند ذكر اسمه صلى الله عليه و سلم في الاذان هل هو جائز ام لا أُجيب بما نصه نعم تقبيل الابهامين و وضعهما على العينين عند ذكر اسمه صلى الله عليه و سلم في الاذان جائز بل هو مستحب صرح به مشائخنا و في روح البيان اعلم انه ليستحب عند سماع الاولى من الشهادة الثانية صلى الله عليك يا رسول الله و عند سماع الثانية قرة عيني بك يا رسول الله ثم يقال اللّهمّ متعني بالسمع و البصر بعد وضع ظفري الابهامين على العينين فانه صلى الله عليه و سلم يكون قائدا له الى الجنة يقول الفقير ظاهر شاه ميان الحنفي السني المياجوخيلي قد صح من العلماء تجويز الاخذ بالحديث الضعيف في العمليات و قد اصاب القهستاني في القول باستحبابه و كفانا من الروايات و كلام المكي في كتابه فانه قد شهد الشيخ السهروردي [شهاب الدين عمر بن محمّد الشافعي السّهروردي مات سنة ٦٣٢ هـ. [١٢٣٤ م.]] في عوارف المعارف بوفور علمه و كثرة حفظه و قوة حاله و قال من الشافعية في اعانة الطالبين على حلّ الفاظ فتح المعين في ص: ٢٤٧ و من المالكية في كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن ابي زيد القيرواني ثم يقبل ابهاميه و يجعلهما على عينيه لم يعم و لم يرمد ابدا و في الطحطاوي [احمد بن محمّد الطحطاوي الحنفي مات سنة ١٢٣١ هـ. [١٨١٥ م.]] على مراقي الفلاح و كذا روي عن الخضر عليه السلام و بمثله يعمل في الفضائل و قال العلامة الشامي في ردّ المحتار شرح الدر المختاركذا في كنز العباد للقهستاني و نحوه في الفتاوى الصوفية و في كتاب الفردوس من قبل ظفري ابهاميه عند سماع (**اشهد ان محمّدا رسول الله**) في الاذان انا قائده و مدخله في صفوف الجنة و تمامه في حواشي الابحر للرملي و قال في موضوعات الكبير قلت (يعني العلامة) و اذا ثبت رفعه الى الصديق رضي الله عنه فيكفي للعمل به لقوله عليه الصلاة و السلام (**عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الرّاشدين**) و قال ابوالشيخ في مكارم الاخلاق عن ابن عمر و ابن حبّان و ابوعمر بن عبد البرّ في كتاب العلم و ابواحمد ابن عدي في الكامل عن انس بن مالك قال عليه السلام (**من بلغه عن الله عزّوجلّ شيئ فيه فضيلة فاخذ به ايمانا به رجاء ثوابه اعطاه الله تعالى ذلك و ان لم يكن كذلك**) و قال ابويعلى و الطبراني في المعجم الاوسط عن ابي حمزة قال عليه السلام (**من بلغه عن الله تعالى فضيلة فلم يصدق بها لم ينله**) و في الحديث القدسي (**انا عند ظن عبدي**) رواه

البخاري و الترمذي و النسائي و ابن ماجه و ايضا قال الامام احمد و ابن ماجه و عقيلي عن ابي هريرة قال عليه السلام (**ما جاءكم عني من خير قلته او لم اقله فاني اقوله و ما جاءكم عني من شر فاني لا اقول الشر**) و لكن الوهابية قوم يجهلون و في معارج النبوة حق تعالى آن نور را به سبابه دست راست او منتقل كردانيد جون مشاهده آن نور كرد همان انكشت را بر آورد و شهادتين ادا كرد و ازانجا بانكشت شهادت موسوم شد و اين سنت در وقت شهادت از آدم عليه السلام يادكار ماند بعد آن انكشت ببوسيد و بر ديده نهاد و صلوات با بركات بروح سيّد سادات عليه الصلاة و السلام ارسال فرمود و كويند در وقت اذان در حين استماع (**اشهد ان محمّدا رسول الله**) صلى الله عليه و سلم بوسيدن و انكشت بر ديده نهادن نيز سنت آدم عليه السلام است و احاديث در فضل آن آورده اند.

بحث في الدّعاء بعد الصلوات

و هذا بحث اهم لانه قد كثر الشغب فيه فاعلم انّ الدعاء بعد الصلوات جائز بل هو مستحب ان الدعاء طلب الادنى من الاعلى لخضوع و هذا هو المراد بقولهم الدعاء حاجت خواستن و لذا قال الفقهاء ان (**اللّهمّ انت السّلام**) كما هو وارد في الاحاديث ليس بدعاء بل ذكر كما قال العلامة الطحطاوي في شرح المراقي قوله و الدعاء هذا لا ينافي الاتيان بـــ(**اللّهمّ انت السلام**) كما هو المأثور في الروايات ليس بدعاء و قال العلامة في البصائر لمنكر التوسل بأهل المقابر و ما ذكر في بعض حواشي كتب الحديث على ما اراني بعض الفضلاء و الكملاء بان (**اللّهمّ**) دعاء فجوابه ان المراد بالدعاء النداء و لا شك ان اللّهمّ منادى بحذف حرف النداء معناه يا الله لا انّ الدعاء بمعنى حاجت خواستن كما ورد في القرآن (**لاَ يَسْمَعُ الاَّ دُعَاءً وَ نِدَاءً** * البقرة: ١٧١) فاعلم ان الدعاء مخ العبادة و لذا قال تعالى (**وَ قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى اَسْتَجِبْ لَكُمْ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُون عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلوُنَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** * المومن: ٦٠) و هذا هو السند على كون الدعاء عبادة و هذا نص مطلق من ان يكون بعد الصلاة اولا و ان يكون بالانفراد و الاجتماع فان المطلق يجري على اطلاقه في الصفات و يراد منه الفرد الكامل في الذوات فحصل التوفيق بين الاصلين و قال الله تعالى (**فَاذاَ فَرَغْتَ فَانْصَبْ** * الانشراح: ٧) قال ابن عباس و قتادة و مقاتل و مجاهد و غيرهم اذا فرغت من صلا تك فاتعب و بالغ و اجتهد في السؤال و فائدته ان ينفعه في الدنيا و الآخرة

فان الدعاء بعد الصلاة مستجابة كذا هو المأثور هذا ملتقط بالفاظ المتقاربة من التفاسير كالمدارك جلد ٤ و الخازن جلد ٤ و الجلالين مع الجمل و معالم التنزيل جلد ٧ و الكبير جلد ٨ و ابوالسعود جلد ٨ و احكام القرآن للجصاص جلد ٣ و ابن جرير و كذا ذكر الامام البخاري باب الدعاء بعد الصلاة ج ٢ ص: ٩٣٧ فعلم من قوله تعالى و قول الامام البخاري المسند الى رسول الله صلى الله عليه و سلم ان بعد الصلاة دعاء و الظاهر ان الدعاء ليس بين السنة و الفرض لان الفصل بين السنة و الفرض بما زاد على (**اللّهمّ انت السّلام**) مكروه و في فتاوى برهنه بعده از سلام فرض زود بر خيزد و درنك نه كند مكر بقدر (**اللّهمّ انت السّلام**) تا آخر كه زياده ازين كراهيت است و بدعت كما في خزانة المفتين و الترغيب و از نعمان الدين آمده كه آيت الكرسى بعد از فرض نخواند نه نشسته و نه استاده بلكه بعد از سنت. و قال العلامة الشامي ج ١ ص: ٤٧٧ و كذا لو فصل بقراءة الاوراد لان السنة الفصل بمقدار (**اللّهمّ انت السّلام**) حتى لو زاد تقع سنة لا في محلها المسنون (١) عن الاسود العامري عن ابيه رضي الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم الفجر فلما سلم انحرف و رفع يديه و دعا الحديث (٢) حدثنا يحيى الاسلمي رضي الله عنه قال رأيت ابن الزبير رأى رجلا رافعا يديه يدعو قبل ان يفرغ من صلاته فلما فرغ منها قال له ان رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يكن يرفع يديه حتى يفرغ من صلاته اخرجه ابن ابي شيبة ثم الحافظ السيوطي في رسالته (نص الدعاء في احاديث رفع اليدين في الدعاء) ثم (مسلك السادات) لمفتي المالكية بمكة ثم (استحباب الدعوات ص: ٦) وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**اذا انصرفت من المغرب فقل اللّهمّ اغفر لي ذنوبي و اجرني من النار سبع مرات**) رواه ابوداود ثم ابن السني ثم مسلك السادات ثم رسالة استحباب الدعوات قال فضالة بن عبيد سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله و لم يصلّ على النبي صلى الله عليه و سلم عجل هذا ثم دعا فقال له او لغيره (**اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربّه و الثناء ثم يصلي على النبي**) صلى الله عليه و سلم (**ثم يدعو بما شاء**) و من آداب الدعاء تكرار الدعاء لان الامام البخاري ذكر باب تكرار الدعاء ج ٢ ص: ٩٤٥ و في الحصن الحصين و ان يكرر الدعاء و اقله التثليث و ذكر الامام مسلم ج ١ ص: ٣١٣ في واقعة بقيع الغرقد انه عليه الصلاة و السلام رفع يديه

ثلاثا قال الامام النووي فيه استحباب اطالة الدعاء و تكرر رفع اليدين لكن السنة عندنا مقدمة على الدعاء الذي هو عقب الفراغ ج ١ ص: ٣٠٤ و في فتاوى برهنه در ملتقط كفته از امام ابو بكر جرجاني كه اشتغال بسنت قبل از دعا اولى تر است و في سنن الهدى و الجمهور على ان الاولى الاشتغال بالسنة ثم بالدعاء و عليه عمل أهل الحرمين الشريفين و سائر ديار العرب و في العيني شرح صحيح البخاري فيه مشروعية الدعاء بعد الصلاة ثم شرح النقاية ج ١ ص: ١٠٦ و في فتاوى ابي الليث السمرقندي و يصلّون بالجماعة ثم يدعون الله تعالى خوفا و طمعا لحوائج الدين و الدنيا و روي عن ابي حنيفة رحمه الله امام المسلمين انه قال اذا دعا الامام بعد الفراغ من الصلاة حول وجهه الى الجماعة و في احياء العلوم قال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليك بالدعاء خلف الصلاة و ذكر في الهداية و الجمع ارجى في الاجابة و في فتح العزيز ص: ٥٠ و دعاء جماعة المسلمين اقرب باجابت است و قال العلامة الشامي و يكره تأخير السنة الاّ بقدر (**اللّهمّ انت السّلام**) و اما ما ورد من الاحاديث في الاذكار عقيب الصلاة فلا دلالة فيه على الاتيان بها قبل السنة بل يحمل على الاتيان بها بعدها سنة من لواحق الفرض و توابعها و مكملاتها فلم تكن اجنبية شامي ج ١ ص: ٤٩٤ السنة. تبع للفرض انتهى فتح القدير ج ١ ص: ١٩١ و اما ما روي من الاحاديث في الاذكار عقيب الصلاة فلا دلالة فيها على الاتيان بها عقيب الفرض قبل السنة بل يحمل على الاتيان بها بعد السنة و لا يخرجها تخلل السنة بينها و بين الفريضة عن كونها بعدها و عقيبها لان السنة من لواحق الفرض و توابعها و مكملاتها فلم تكن اجنبية انتهى كبيري و فتح القدير ج ١ ص: ١٩١ و شامي ج ١ ص: ٣٥٦ و المراقي و الطحطاوي اذكار ص: ١٩٧ و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم حكاية عن الله تعالى في حديث قدسي طويل (**قال الربّ تعالى انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة**) الخ رواه ابوداود ثم مشكوة صلاة التسبيح و فتح القدير ج ١ ص: ١٩١ و في قطب الارشاد و يكرر الدعاء و اقله التثليث و في نزهة المجالس فالمؤمن يرفع يديه الى ربه خمسين مرة اللّهمّ احفظنا من العقائد الوهابية آمين.

البحث في اسقاط الصلاة

فاعلم ان اسقاط الصلاة جائز صرح به فقهاؤنا و قال الله تعالى (**وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** * البقرة: ١٨٤) و فدية الصلاة ثبتت بدلالة النص لان الصلاة اهم من الصوم و فدية كل صلاة كفدية صوم و الوتر صلاة على حدة فالصلوات في يوم و ليلة ست فاذا ضرب الست في ايام السنة الشمسية (٣٦٥ يوماً) حصل الفان و مائة و تسعون صلاة و الفدية للصلاة الواحدة مقدار الفطرة و مقدارها صاع من تمرة او شعير و نصف صاع من الحنطة و ان لم يف ما اوصى به عما عليه يدفع ذلك للفقير فيسقط عن الميت بقدره ثم يهبه الفقير للولي و يقبضه ثم يدفعه للفقير فيسقط بقدره ثم يهبه الفقير للولي و يقبضه ثم يدفعه الولي للفقير و هكذا حتى يسقط ما كان على الميت من صيام و صلاة و قال شيخ المشائخ فقيه الملة ابومسعود السيد محمود شاه دام ظله في وجيز الصراط و كل يقول للآخر وهبت هذا النقد لاسقاط ما في ذمة هذا الميت من الصلاة و الصيام و غير ذلك.

قال العلاّمة الشامي في حاشية الدر المختار في باب صدقة الفطر (اعلم أنّ الحنفية يقولون ان الصاع إناء يسع ثمانية ارطال من العدس و الماش و لا يسع ثمانية ارطال من الحنطة لانه اثقل منهما و الرطل نصف منّ [بطمان] و المنّ بالدراهم مائتان و ستون درهما و بالاستار أربعين و الاستار بكسر الهمزة بالدراهم ستة و نصف و بالمثاقيل أربعة و نصف و المدّ و المنّ سواء كل منهما ربع صاع الرطل مائة و ثلاثون درهماً شرعيًا و الصاع ألف و اربعون درهمًا شرعياً و الدرهم الشرعي أربعة عشر قيراطاً و القيراط خمس شعيرات).

[قال في (**الأنوار لأعمال الأبرار**) في الفقه الشافعي (الصاع بالوزن ستمائة و اربع و تسعون درهماً و صدقة الفطر من كل القوت صاع و مقدار الفدية مُدّ).

[هذا الفقير حسين حلمي بن سعيد الأستانبولي جرّب و رأى ان خمس شعيرات اربعة و عشرون سانتي غراماً. الدرهم الشرعي عند الحنفية ثلاثة غرام و ستة و ثلاثون سانتي غراما و نصف الصاع ١٧٥٠ غراما و فدية صلاة السَّنَةِ عند الحنفية ٣٨٣٣ كيلوغرام حنطة] و في باب قضاء الفوائت (و لو مات و عليه صلوات و صيام فائتة و اوصى بالكفارة يشتري وليه ذلك الحنطة أو قيمته ذهبًا مضروباً أوحليًّا من ثلث ماله و يحسب مدة عمره بعد اسقاط اثنى عشرة سنة للذكر و تسع سنين للانثى لانها أقل مدة بلوغهما و يدفعها للفقير ثم يستوهبها منه و يتسلّمها منه لتتمّ الهبة ثم يدفعها لذلك الفقير أو لفقير آخر فيسقط في كل مرة كفارة سنة و لابدّ في كفارة الأَيمان من عشرة

مساكين و لا يصح أن يدفع للواحد اكثر من نصف صاع أو قيمته [من الذهب] في يوم بخلاف فدية الصلاة و الصوم فانه يجوز اعطاء فدية الصلوات و الصيام لواحد ثم ينبغي بعد تمام الاسقاط أن يتصدّق على الفقراء بشيئ من ذلك المال و يلزم الوليّ ذلك بشيئ من الثلث ان اوصى و الاّ فلا يلزم و لو لم يترك مالا او كان ما اوصى به لا يفي أو لم يوص بشيئ و أراد الوارث التبرع يجزيه يستقرض ذهباً و يفعل الدور و لكن ليس ذلك بواجب على الوارث لو تبرعّ غير الوارث يجزيه ذلك]. و قال احمد بن محمد اسماعيل الطحطاوي المتوفى سنة ١٢٣١ هـــ. [١٨١٦ م.] في شرح الدر المختار فما يفعل الآن من تدوير الكفارة بين الحاضرين و كل يقول للآخر وهبت هذه الدراهم أو المثاقيل لاسقاط ما في ذمة فلان من الصلاة و الصيام و يقبله الآخر صحيح و قال الفقيه امام الهدى ابو الليث السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٣ هـــ [٩٨٣ م.] حدثنا العباس بن سفيان عن ابن علية عن ابن عون عن محمّد عن عبد الله قال قال عمر ايها المؤمنون اجعلوا القرآن وسيلة لنجاة الموتى فتحلقوا و قولوا اللّهمّ اغفر لهذا الميت بحرمة القرآن المجيد و عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم (**من مات و عليه صيام شهر رمضان فليطعم مكان كل يوم مسكينا**) رواه الترمذي و عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (**لا يصوم احد عن احد و لا يصلي عن احد و لكن يطعم عنه**) رواه النسائي و العيني. و مجموعة رسائل الشامي و مجمع الانهر صوم ص: ٢٤٢ و السنن الكبرى و الجواهر النقي ج ٤ و الزّيلعي ص: ٤٩٢ و الدراية ص: ١٧٧.

بيت:

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة * و ان كنت تدري فالمصيبة اعظم

و ان كانت الصلوات كثيرة و الحنطة قليلة يعطي ثلاثة اصوع عن صلوات يوم و ليلة مع الوتر الى الفقير ثم يدفعها الفقير الى الوارث ثم يدفعها الوارث الى الفقير ثم يدفعها الفقير الى الوارث هكذا يفعل مراراً حتى يستوعب الصلوات و نحوها انتهى كبيرى فوائت ص: ٥٨٣ و جواهر النفيس. فان لم يف للوارث مال يستوهب من الغير او يستقرض ليدفعه للفقير ثم يستوهبه من الفقير و هكذا الى ان يتم المقصود انتهى. مجموعة رسائل الشامي منة الجليل ج ١ ص: ٣١٢. و ان يتبرع الولي به يجوز آهـــ الفتاوى الحجة لقاضيخان ثم الضدية و كبيري و المراقي و الطحطاوي و اللباب

و الجوهرة صوم ص: ٤٣٦ و الفاتح صوم ص: ٧٨ و عيني الهداية صوم. [قال في رسالة (**نفع الانام في اسقاط الصلاة و الصيام**) قال الباجوري [إبراهيم الباجوري من اساتذة الازهر توفى سنة ١٢٧٦ هـ. [١٨٥٩ م.] في القاهرة] من مات و عليه الصلاة أو الاعتكاف لم يفعل ذلك عنه بل و لا فدية له على المعتمد عندنا و قيل يفدى عنه لكل صلاة مُدّ و لا بأس بتقليد ذلك فان قلد الحنفية في اسقاط الصلاة المشهوركان حسنا].)

{النقول الشرعية}

في

{الرّدّ على الوهابية}

جمع الفقير لرحمة ربه القدير مصطفى بن احمد ابن حسن الشطي الحنبلي
مذهبا الاثري مشربا الدمشقي موطنا و منشئا غفر الله له و لوالديه
و مشايخه و اولاده و المسلمين اجمعين آمين

و يليه

رسالة في تأييد مذهب ساداتنا الصوفية
و الرد على المعترضين عليهم للمؤلف

بســـــم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الذي يقول الحق و هو يهدي السبيل. و الصلاة و السلام على الفاتح الخاتم سيدنا محمد اشرف نبي و اكرم دليل. و على آله و صحبه المتبعين لمقاله و حاله و حقيقة امره على التفصيل. صلاة و سلاما دائمين في كل بكرة و اصيل. و بعد فهذه رسالة وجيزة دعت اليها الحاجة مشتملة على مسائل شرعية غمض فهمها على بعض من الناس ممن استولى على عقله الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس و صار يحسن اليهم اتباع هواء عقولهم و يزين لهم القاء ذلك لكثير من عوام الناس فخوفا على زيغ عقائدهم الفطرية استعنت بحول الله و قوته معتمدا عليه في كشف و ايضاح معانيها بما وقفت عليه من النصوص على ما ذكره الأئمة الموثوق بهم من خدمة

هذا الشرع الشريف المحفوظ من الزيغ و الالحاد بطائفة اخبر عنهم عليه الصلاة و السلام بقوله (**لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله**) و هم على ذلك و هو في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة و الله الموفق و المسهل لاسباب الخير و الصواب و قد رتبتها على مقدمة و خاتمة * اما المقدمة فتحتوي على خمس مقالات (المقالة الاولى) في بحث الاجتهاد و شروطه و الثانية في تقسيم الشرك الى جلي و خفي و كذلك البدعة الى اقسامها المشهورة. الثالثة في حياة الانبياء و الشهداء و من اكرمه الله تعالى من عباده في قبورهم و انهم ليسوا باموات بصحيح الاخبار و صريح الآيات. الرابعة في جواز التوسل و الاستغاثة بالانبياء و الصالحين احياء و امواتا و اثبات كراماتهم كذلك و ان لهم عند ربهم ما يشاؤن الخامسة في حكم زيارة القبور و جواز شد الرحل اليها سيما لزيارة قبره عليه السلام و الخاتمة في طرف من التصوف و نبذة من العقائد الدينية و غيرها فأقول و بالله التوفيق و بيده ازمة التحقيق

المقالة الاولى
في الاجتهاد

و حقيقته بذل الفقيه الجهد و الوسع في تحصيل الظن لدرك حكم شرعي على وجه يحسّ من النفس العجز عن المزيد عليه كما ذكره في التحرير للقاضي المراداوي في اصول الحنابلة. اقول قد ذكر جمهور فقهاء المذاهب الاربعة و الاصوليين انه لا يجوز خلو عصر من مجتهد و انه فرض كفاية و استدلوا على المطلوب بدلائل مذكورة بمحلها يطول بسطها لكنهم شرطوا في المجتهد شروطا تأتي غالبها متفق عليه فيما بينهم فالخروج عنه عدول عن الجماعة و السواد الاعظم المنهي عنه بصرائح الاحاديث الصحيحة و لا شك في صعوبة تحصيل هذه المرتبة و استيفاء الشروط في احد سيما في هذا الزمان الكثير الفساد القليل الخير المتبع فيه للاهواء حتى انه منذ اعصار بعيدة لم يظهر من توفرت فيه شروط الاجتهاد و لذا صرح بعضهم بانقطاعه و هو الظاهر لعدم ظهور من هو واقف على حدود التقوى خال من الهوا و البدعة في اقواله و افعاله و احواله و لا حول و لا قوة الاّ بالله العلي العظيم و قد ذكر جمهور الاصوليين من فقهاء المذاهب المدونة في المجتهد شروطا منها ان يحوى علم الكتاب و السنّة بوجوهه و معانيه لغة و شرعا و اقسامه المشهورة و علم السنة متنا و سندا

كذلك و وجوه القياس كذلك كما ذكر في التوضيح لصدر الشريعة و قال في التحرير و شرحه المذكور و شرط المجتهد كونه فقيها و الفقيه هو العالم باصول الفقه اى له قدرة على استخراج الاحكام من ادلتها و العالم بما تستمد منه اصول الفقه و هى الكتاب و السنّة و الاجماع و القياس بالوجوه المذكوة و معرفة الاستدلال و الاصول المختلف فيها و ما يعتبر للحكم في الجملة من حيث يعتبر ذلك للحكم او من حيث الكيفية كتقديم ما يجب تأخيره و تأخير ما يجب تقديمه لان ذلك كله آلة للمجتهد كالقلم للكاتب و العالم ايضا بالادلة السمعية مفصلة و باختلاف مراتبها فتضمن ذلك ان يكون عنده قوة و سجية يقتدر بها على التصرف بالجمع و التفريق و الترتيب و التصحيح و الافساد فان ذلك ملاك صناعة الفقه و قال حجة الاسلام الغزالي اذا لم يتكلم الفقيه في مسألة لم يسمعها ككلامه في مسألة سمعها فليس بفقيه و يشترط ايضا علمه بالناسخ و المنسوخ و علمه ايضا بصحة الحديث و ضعفه متنا و سندا و ان يعرف من النحو و اللغة اى بطريق الملكة ما يكفيه لمعرفة ما يتعلق بهما اى الكتاب و السنّة من نص و ظاهر و مجمل و مبين و حقيقة و مجاز الى آخر الاقسام التي بلغت تفصيلا الى ثمانين قسما و ان يعلم المراد من فحوى الخطاب و دليل الخطاب و لحنه و مفهومه لان بعض الاحكام يتعلق به و يتوقف عليه توقفا ضروريا كقوله عليه السلام (**اقتدوا باللّذين من بعدي ابي بكر و عمر**) رواه الشيعة ابابكر و عمر بالنصب على النداء فعلى رواية الجر و هى الثابتة المشهورة هما مقتدى بهما و على رواية النصب هما مقتديان بغيرهما و امثال ذلك كثير و قد فرق الفقهاء بين من يعرف العربية و من لا يعرفها في كثير من المسائل في الطلاق و الاقرار. و غيرهما على ما تقرر في موضعه و شرطه ايضا علمه بالمجمع عليه و المختلف فيه و مواقع الاجماع حتى لا يقع في مخالفته و علمه ايضا باسباب النزول في الآيات القرآنية و اسباب الاحاديث النبوية ليعرف المراد من ذلك و ما يتعلق بهما من تخصيص او تعميم و شرطه ايضا علمه بمعرفة الله تعالى و بصفاته الواجبة له و تنزيهه عن صفات المحدثين و غير ذلك مما يجوز عليه تعالى و يمتنع و مصدقا بالرسول عليه السلام و ما جاء به من الشرع المنقول عنه بدليل الاجمالي و بالرسل و ببقية السمعيات المقررة في كتب العقائد على النهج المستقيم انتهى من عبارة التحرير و شرحه و نحو ذلك في اصول الشافعية و قريب منه في اصول ابن الحاجب و شراحه من اصول المالكية و اذ قد علمت ذلك كله تبين لك انقطاع الاجتهاد في هذا الزمان و ان ما وقع في عبارة بعضهم من عدم انقطاعه محض فرض و تقدير و بين

العبارتين خلاف لفظي و بناء على ما تقرر فمن ادعى في هذا الزمان الاجتهاد فيسأل عن الشروط المذكورة و يبحث في وجودها فيه بمثال ما في حادثة ما فان اقام عليها الدليل من الاصول الاربعة بلا معارض بوجه صحيح فحينئذ يسلم له و هيهات لا شك بان من ادعى ذلك في هذا الزمان فعليه امارة البهتان كما يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة من جهة نجد التي يخرج بها قرن الشيطان كما ورد في الحديث حتى انهم ربما لا يستدلون بالاجماع و لا بالقياس اصلا بل يقتصرون على الاستدلال بالكتاب و السنّة بلا فهم منهم لشئ من الوجوه السابقة و لا معرفة منهم بمبادي العلوم فضلا عن مقاصدها و اصولها و يعلمون اولادهم من إبّان نشوتهم هذه الدعوى و يجرؤنهم على الاحتجاجات بظواهر النصوص و ترك ما وراء ذلك من جهل و مكابرة و قد ينكرون دعوى الاجتهاد و يحتجون بعبارة شيخ الاسلام ابن تيمية فقط مع ان الامام المذكور قد خرج من مذهب الحنبلي في عدة مسائل تفرد بها و تهيئ بخصوصها للاجتهاد المطلق الاّ انها لم تدون على كونها مذهبا له كما دونت فروع مسائل المذاهب الاربعة فمنها ما كان يحب المناظرة فيه و لم يفت به لاحد كمسألة الغاء مفهوم العدد في الطلاق و انه يقع واحدة و ان كان بلفظ الثلاث او الالف او الاكثر من ذلك و منها تحريم شد الرحل لغير المساجد الثلاثة و منها منع الاستغاثة بالانبياء و الصالحين و غير ذلك مما هو مذكور في مواضعه فليست المسائل المذكورة من مذهب احمد و لا ورد فيها رواية عن احمد و نص فقهاء الحنابلة على انه لا يتابع فيها فمن ادعى انه حنبلي المذهب فليس له القول بها كما قالت به هذه الفرقة المذكورة عن جهل و انطماس بصيرة وفقنا الله تعالى و اياهم لاتباع سبيل المصطفى عليه السلام الداعي اليها على بصيرة هو و من اتبعه آمين

المقالة الثانية

في الشرك و البدعة و اقسامهما

اما الشرك فهو قسمان جلي اكبر و هو عبادة الاوثان و الاصنام و خفي اصغر و هو النظر الى الاسباب و الوقوف معها و التعمق فيها مع الغفلة عن سببها و منه الرياء و يسمى الشرك الاصغر كما صرح به في الحديث الآتي و يدل لانقسامه الى ما ذكر القرآن و الخبر و الاجماع اما القرآن فقوله تعالى (**وَ مَا يُؤْمِنُ اَكْثَرُهُمْ بِاللهِ اِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ** * يوسف: ١٠٦) فقد اطلق الحق تعالى على اكثر المكلفين من العباد

لفظ الشرك في حالة الايمان فلو كان المراد به ما يقابل الايمان و يباينه لزم التناقض في قوله تعالى و هو بديهي البطلان فعلمنا ان المراد به قسم آخر و هو الخفي و اما السنة فقد خرج احمد و الطبراني عن ابي موسى الاشعري رفعه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم فقال (**يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل على الصفا**) و في رواية الاسيوطي في الجامع (**الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل على الصفا**) قال شارحه المناوي لانهم ينظرون للاسباب كالمطر غافلين عن المسبب و من وقف مع الاسباب فقد اتخذ من دون الله اولياء فلا يخرج عنه المؤمن الاّ بهتك حجب الاسباب و مشاهدة الكل من رب الارباب و اشار بقوله اخفى الخ الى انه متلاش فيهم رضعهم لفضل يقينهم سيما و فيهم مثل ابي بكر و عمر فانه و ان خطر لهم فانه خطور خفي لا يؤثر في نفوسهم كما لا يؤثر دبيب النمل على الصفا و هذا ظاهر و تمام الحديث المذكور فقال له من شاء الله ان يقول فكيف ننفيه يا رسول الله و هو اخفى من دبيب النمل فقال (**قولوا اللّهمّ انّا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه و نستغفرك لما لا نعلمه**) و ما رواه احمد عن محمود بن لبيد قال عليه السلام (**ان اخوف ما اخاف عليكم الشركُ الاصغر**) قالوا و ما الشرك الاصغر قال (**الرياء**) و امثال هذه الاحاديث كثيرة جدا لا يسعها هذا المختصر المقصود به بيان الحق و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و النصح في الدين للمسلمين و قد مست الحاجة له بسبب موافقة بعض اهل العلم لبعض اهل الاهواء و لا حول و لا قوة الاّ بالله العلي العظيم. و اما الاجماع فقد انعقد على انه لا يكفر احد من اهل القبلة بكبيرة فكيف بمثل ما نحن فيه من نسبة الاشياء لاسبابها و منه الاستشفاع و الطلب لشئ من الحوائج الاخروية او الدنيوية من نبي او ولي او صالح حي ام ميت مع اعتقاد ان الفعال هو الله تعالى و انه خالق السبب و المسبب و ليس لنا ان نحمل فاعل ذلك على اعتقاد موصل للكفر و لا ان نحكم بكفره بلا سؤال منه عن حقيقة عقيدته بل ليس لنا الفحص و التجسس عن ذلك فان نسبة الاشياء للاسباب وارد بصرائح النصوص فالحاكم بالكفر على مثل هؤلاء هو الكافر الخارج عن الايمان التابع لهواه (**فان من كفّر مؤمنا فقد كفر**) كما ورد في حديث ذكره الشعراني عن الثقات في كتابه الموازين الذرية و ايضا انه قال صلى الله عليه و سلم (**كفوا عن اهل لا اله الاّ الله لا تكفروهم بذنب فمن اكفر اهل لا اله الاّ الله فهو الى الكفر اقرب**) و في رواية فهو اكفرهم فالقول بان

الشرك قسم واحد و هو ما يقابل الايمان و ينافيه قول مخالف للنصوص خارق للاجماع و هذه المسئلة هي احدى المسائل الخمس المذكورة في هذه المقالات التي تقول بخلافها الطائفة النجدية المنوه بذكرهم فانهم يصرحون بان من يستغيث بالرسول عليه السلام او غيره في حاجة من حوائجه او يطلب منه او يناديه في مطالبه و مقاصده و لو بيا رسول الله او اعتقد على نبي او ولي ميت و جعله واسطة بينه و بين الله تعالى في حوائجه فهو مشرك حلال الدم و المال و القليل منهم من لا يطلق التكفير بمثل ذلك فعلى من اعتقد هذا في المسلمين ما يستحقه من الله تعالى و قد صرح بمثل الترهات و الضلالات رئيسهم ابن عبد الوهاب الشيخ النجدي الذي كان هو السبب في زيغ عقائد عامتهم في ضمن رسالة كبيرة ارسلها للجد التقي العالم الورع مرجع الحنابلة في وقته حال حياته المرحوم الشيخ حسن الشطي لينظر فيها و يقرظ عليها و في ذلك الوقت كان في مرض شديد فلم يتيسر له رد مقالاتها بالتفصيل فكتب في آخرها بخطه المنور ما ملخصه (قد اطلعت على هذه الرسالة المشتملة على مسائل شرعية متعلقة بامور ارتكبها بعض الناس جهلا لا توجب الكفر اصلا و بعضها ربما يكون حسنا عند التأمل و قد اكفرهم بفعلها ابن عبد الوهاب محرر هذه الرسالة و حكم بحل دمائهم و اموالهم بمفاهيم تخيلها من ظواهر النصوص الشرعية منبئة عن جهله و توغله و سوء ظنه بالمؤمنين فلعنة الله على من اعتقد هذا الاعتقاد فان من كفر مؤمنا فقد كفر) و الرّذية كل الرّذية ما كان من قرب اجله رحمه الله و لم يتيسر له رد مقالاتها بالتفصيل و الله حسبنا و نعم الوكيل و مرة دخل الجد المذكور جامع بني امية في الشام فسمع عجوزا تقول يا سيدي يحيى عاف لي بنتي فوجد هذا اللفظ بظاهره مشكلا و غير لائق بالادب الالهي فامرها بالمعروف و قال لها يا اختي قولي بجاه سيدي يحيى عاف لي بنتي فقالت له اعرف اعرف و لكن هو اقرب مني الى الله تعالى فافصحت عن صحة عقيدتها من ان الفعال هو الله تعالى وحده و انما صدر منها هذا القول على وجه التوسل و التوسط الى الله تعالى بحصول مطلوبها منه فقال الجد تركتها لعلمي بصحة عقيدتها فانظر بانصافك الى هؤلاء الجهلة المفرّطين و المفرطين المشددين على امة المختار صلى الله عليه و سلم كيف يسوغ لهم تكفير المسلمين و حل دمائهم و اموالهم بلا موجب شرعي واضح مقلدين لاحد الجهلة منهم و هو ابن عبد الوهاب في هذه المسئلة و في بقية هذه المسائل الخمس المذكورة في هذه العجالة فما هى الاّ طامة عظيمة و ورطة جسيمة و عقيدة حرورية و نزغة شيطانية حفظنا الله و المسلمين من

ذلك آمين.

{و امّا البدعة} فلها معنيان معنى لغوي عام و هو الامر الحادث المخترع مطلقا عادة كان او عبادة و هذا المعنى هو المقسم في عبارة الفقهاء و الثاني معنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين او النقصان منه الحادثان بعد زمن النبي صلى الله عليه و سلم و الصحابة بغير اذن من الشارع لا قولا و لا فعلا و لا صريحا و لا اشارة و هذه لا تتناول العادات اصلا كيف و قد قال عليه السلام (**انتم اعلم بامر دنياكم**) بل تقتصر على بعض الاعتقادات و بعض صور العبادات من قول او فعل او خُلُق مع اعتقاد ان ذلك قربة و طاعة و الاّ فهو معصية لا بدعة و ان يكون ذلك بمجرد الرأي ليخرج منها الزيادة و النقصان الواقع ذلك بين المجتهدين فانه عن دليل فهذه البدعة في الشرع دون العادة هي الضلالة المنهي عنها المرادة بقوله عليه السلام في اثناء حديث العرباض بن سارية (**فان كل محدث بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار**) و بقوله عليه السلام فيما رواه البخاري عن عائشة رضى الله عنها (**من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) فقوله في امرنا هذا اي ديننا و شرعنا مخرج للبدعة في العادة و البدعة في الاعتقاد و هي المتبادرة من اطلاق اسم البدعة و المبتدع و الهوى و اهل الاهواء فبعضها كفر كانكار حشر الاجساد و نفي الصفات الالهية مطلقا و الحكم بقدم صور العالم و بعضها ليست به كخبر المعراج و لكنها من اكبر الذنوب فعلم منه ان البدعة في العادة ليست بضلالة و لا شملتها الاحاديث ثم ان بعضها مباح و ان كان تركه اولى كاستعمال المناخل و الملاعق و نحو ذلك من انواع الثياب المختلفة و بعضها مستحب كتصنيف الكتب و عمارة المدارس و الربط لتحصيل العلوم النافعة و بعضها واجب كتصنيف البراهين و الدلائل لدفع شبه الفرق الضالة كهذه الفرقة النجدية و لو تتبعت كلما قيل فيه بدعة حسنة سواء كان اعتقادا او قولا او عملا او خلقا من جنس العبادة اذ جنس العادة ليس ببدعة شرعا كما ذكرنا لوجدته مأذونا فيه من الشارع اشارة او دلالة و بعضها صراحة من آية او حديث لا يخرج شئ من ذلك عما ذكر اصلا و القصور في عدم الاطلاع فمن ذلك ما رواه الامام احمد و مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجة عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (**من سنّ في الاسلام سنة حسنة فله اجرها و اجر من عمل بها من بعده من غير ان ينتقص من اجورهم شيئ**) ثم ذكر عكس ذلك بالنسبة للسيئة و قد اخرج

البيهقي عن ابي جحيفة نحوه فقد سمى عليه السلام المبتدع للحسن مستنا فادخله في السنة و هو المشرّع فلا يجوز مخالفته و لا الحكم بان البدعة قسم واحد و انه ضلالة اخذا بعموم كل بدعة ضلالة مع هذه المخصّصات فان من المقرر ما من عام الاّ و حص منه حتى هذه المقالة و الاخذ بكل العمومات من الجهل بقواعد العلم و الشرع الاطهر كما هو شأن الفرقة النجدية مع انهم متلبسون بالبدع العادية الكثيرة ربما لا يشذ واحد منهم عنها اما في ملبسه او مأكله او غير ذلك بل اقول ان القول بان البدعة قسم واحد بدعة قولية في الدين ضلالة و اتباع للهوى عن غير دليل و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل

المقالة الثالثة

في اثبات ان الانبياء و الشهداء احياء في قبورهم حيوة مستقرة و انهم ليسوا باموات

بصحيح الاحاديث و صريح الآيات و جواز ذلك لبعض من يكرمه الله تعالى به من الصالحين و الاولياء و في اثبات كراماتهم احياء و امواتا اما الدليل على الحيوة بعد الموت للشهداء فقوله تعالى (**وَ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَآءٌ** * آل عمران: ١٦٩) و اما بالنسبة للانبياء فعدة احاديث بعضها صحيح و بعضها غير ذلك بلغ مجموعها حد الشهرة و يأتي بعضها و ايضا هم أولى من الشهداء بهذه الفضيلة العظيمة و المنقبة الجسيمة و بالاجماع على ذلك و اما بالنسبة لغيرهم فبطريق الجواز و الامكان و عدم الاستحالة و عدم ورود مخصص بالأولين و لان النص على الشئ لا ينفي ما عداه كما هو مقرر في موضعه و بشهادة الحس و العيان فانه قد وقع الكشف على قبور بعض الاولياء العارفين و عباد الله الصالحين بعد مدة مديدة من الزمان فوجد غضا طريا كأنه الآن وضع في حفرته كما وقع و اشتهر عن الامام الجزولي صاحب دلائل الخيرات رحمه الله تعالى و غير واحد من الصالحين فلا ينكره الا مكابر ينكر الحسيات او لا يقول بالكرامات و قد ثبت في صحيح الاخبار الكثيرة ان الانبياء يصلون في قبورهم و في بعضها انهم يقرؤن القرآن و في بعضها انهم يحجون كما ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية بلفظ ثبت و روى البخاري في تاريخه و مسلم و ابو داود (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة) ففيه التصريح بانه يراه يقظة و

انه حيّ في قبره اعظم حياة و اكملها بل هي حالة اتم و اكمل من الحياة في الدنيا كما هو ظاهر لا غبار عليه و اما كرامات الاولياء فهي حق ثابت بالادلة الشرعية و المشاهدات الحسية و القواطع العقلية و اثباتها و عدم نفيها و اهمالها من العقائد الدينية كيف و في القرآن منها الكثير كقصة مريم الصديقة و قصة الخضر و غير ذلك و قد تواترت الاخبار تواترا معنويا بكرامات الصحابة و التابعين من بعدهم و قال الامام بن حمدان في نهاية المبتدئين في اصول الدين و كرامات الاولياء حق و انكر الامام احمد من انكرها و ضلله و الحاصل ان علماء الحنابلة كغيرهم من اهل السنة مجمعون على اثباتها حتى طائفة النجدية الوهابية مع غلوهم يثبتونها للاولياء الاّ ان البعض منهم يخصها بالاحياء و لم يثبت لهم دليل التخصيص ابدا قال الشيخ الفاضل العلامة الشيخ عبد الله صوقان النابلسي القدومي تلميذ المرحوم الجد الشيخ حسن الشطي حفظه الله تعالى و هو الآن بالمدينة تحت انظار الرسول عليه السلام و نفع به في رسالته التي سماها المنهج الاحمد في درء المثالب التي تنمي لمذهب احمد قال عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب في رسالته التي نشرها للعامة و من خطه نقلت اقول هذا الرجل هو امام و قدوة الفرقة الوهابية و اليه تابعون بزعمهم يقول الذي نعتقده ان رتبة نبينا محمد عليه السلام اعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق و انه حي في قبره حيوة مستقرة ابلغ من حياة الشهيد المنصوص عليها في التنزيل اذ هو افضل منهم بلا ريب و انه عليه السلام يسمع سلام من يسلم عليه اي و لو من امكنة بعيدة كما هو ظاهر اطلاقه و تسن زيارته الاّ انه لا يشد الرحل الاّ لزيارة المسجد و الصلاة فيه و اذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس به اقول هذه قلد فيها ابن تيمية و هي مسئلة ليست من مذهب الحنبلي كما عرفته و ستعرفه بل تفرد فيها بن تيمية ثم قال و من انفق نفيس اوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين و كفى همه و غمه الى ان قال و لا ننكر كرامات الاولياء و نعترف لهم بالفضل و انهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة المرضية و القوانين الشرعية احياء و امواتا الاّ انهم لا يستحقون شيئا من انواع العبادة انتهى كلامه بحروفه. فانظر الى عبارة امامهم المذكور لا تجدها مخالفة لما عليه الجمهور من اثبات الحياة و الكرامة للشهداء و الاولياء و الصالحين بعد وفاتهم كحال حياتهم و هو الموافق للقاعدة المقررة و هو ان النبوة و الولاية لا تنقطع بالموت فكيف يسوغ القول الآن من هذه الطائفة او من غيرهم بتخصيص الكرامة في حال الحياة و بنوا عليها تخصيص التوسل و الطلب في حال الحياة فقط بعد هذه الادلة حتى من أمامهم

المذكور فما هو الاّ من غلوهم و عنادهم و غلبة جهلهم و اتباع بعضهم لبعض وراثة جاهلية و نزغة شيطانية سرت فيهم و تمكنت فكأنهم القائلون انا وجدنا آباءنا على امة و انا على آثارهم مقتدون. و لم نزل على عدم يقين بحقيقة حالهم لاضطرابها هل هم مجتهدون كما يظهر منهم امارة ذلك باقامة البرهان بظواهر القرآن و عمومات الاخبار ام مقلدون لشيخ الاسلام ابن تيمية ام لامامهم ابن عبد الوهاب المذكور ام متمذهبون بمذهب الامام احمد بن حنبل و الاظهر انه لا يحكم عليهم بشئ من ذلك لمخالفتهم في الجملة لجميع ما ذكر كما عرفته و تعرفه فنسأل الله الهداية لنا و لهم و للمسلمين آمين. ثم اقول حيث ثبت بالنصوص الصحيحة حياة الانبياء و الشهداء و بعض من اكرمه الله تعالى بذلك في قبورهم سيما في حق الانبياء عليهم السلام من انهم يصلون و يقرؤن و يحجون و نحو ذلك و لا يخفى ان هذه الافعال من صفات الحي و لا يلزم من ذلك ان يراهم جميع الناس بل يحجب الله تعالى اعين الناظرين الغافلين عنهم لما يقتضيه الموطن الدنيوي و لئلا يفتتن القاصرون من الناس بذلك و لعدم استطاعتهم لذلك فلا مانع من ان يكشف الله تعالى الحجاب عن قلوب بعض الصالحين و الاولياء و ابصارهم بطريق الكرامة لهم و يريهم حضرة رسول الله او غيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين عليهم السلام او يجمعه بهم و يكلمهم و يكلموه و يستفيد منهم علوما و معارف و فهوما في الشرع المقرر و الدين الاظهر الاطهر كما اشتهر عن الجلال السيوطي انه كان له اجتماع برسول الله صلى الله عليه و سلم و كان يسأله عن احاديث وردت في شرعه هل هي صحيحة عنه ام لا و يجيبه عليه السلام عن ذلك و مثل هذا ورد عن عدد من علماء هذه الامة و اوليائها لا يمكن تواطئهم على الكذب قد علت مقاماتهم و ارتفعت درجاتهم و اشتهرت كراماتهم و صحت في الدين استقامتهم و يدل لذلك ما ذكرنا من رواية البخاري في تاريخه و مسلم و ابي داود المتقدمة من جواز رؤيته عليه السلام يقظة لمن رآه في المنام فكيف لمن وقعت رؤيته له يقظة و قد قال العارف الكامل ابو العباس المرسي قدس الله روحه لو غاب عني رسول الله لحظة ما عددت نفسي من المسلمين الظاهر انه يعني الكاملين و لو بسطنا الكلام في هذا المقام لخرجنا عن المقصود و في هذا كفاية لمن له دراية و الله الهادي من الغواية و الموصل للغاية و قد آمنت بهذا انا و كل موفق لعدم منافاته للشريعة المطهرة عند التدقيق و الله ولي التوفيق

المقالة الرابعة

في جواز التوسل و الاستغاثة و الاستشفاع بالانبياء و الاولياء و الصالحين حال حياتهم و بعد مماتهم و الدليل عليها من الكتاب و السنة و عبارات الفقهاء

اما الكتاب فقوله تعالى (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** * القصص: ١٥) و قوله تعالى (**وَ لَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) فان قال وهابي هذا مخصوص بحال الحياة فنقول قد انعقد الاجماع و قامت صرائح الادلة على حياته في قبره عليه السلام كما قدمنا ذلك مبسوطا فحكم هذه الآية الشريفة منسحب الى الآن و الى ما شاء الله و لذا ترى العلماء جميعا و الفقهاء ذكروا استحباب قرائة هذه الآية عند زيارة قبره عليه السلام كما لا يخفى ذلك على من تتبع عباراتهم الطافحة بذلك فلا حاجة للاطالة بسردها فعلى من يدعي تخصيصها بالحياة الدليل و انى له ذلك و هناك آيات اُخر نشير الى الالتجاء به عليه السلام منها قوله تعالى (**اَلنَّبِيُّ اَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنفُسِهِمْ** * الاحزاب: ٦) و قوله تعالى (**وَ مَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** * الانبياء: ١٠٧) و قد فهم ابو البشر آدم عليه السلام من قرن اسمه تعالى باسم نبيه عليه السلام انه الوسيلة اليه تعالى فتوسل به عليهما السلام الى ربه بان يغفر له فغفر له كما ثبت ذلك و اما الآيات التي تمسك بها الوهابية من قوله تعالى (**اُدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ** * المؤمن: ٦٠) و قوله تعالى (**فَفِرُّوا اِلَى اللّٰهِ** * الذاريات: ٥٠) و قوله (**وَ اِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ اِلاَّ هُوَ** * الانعام: ١٧) و قوله (**وَ نَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** * ق: ١٦) و نحوها من حديث (**اذا استعنت فاستعن بالله**) الى آخره فلا تدل على مدعاهم من امتناع التوسل بالانبياء و الصالحين كما هو ظاهر و لان الذين اجمعوا من المسلمين على جواز التوسل بالانبياء و الصالحين او استحبابه لا يقصدون بذلك تأثير شئ منهم بايجاد نفع او دفع ضر و لا يعتقدون ذلك البتة بل جميع المسلمين يعتقدون ان الله تعالى هو الفعال لما يريد و هو المنفرد بالايجاد و الاعدام و النفع و الضر و هو من بديهي العقائد عندهم فلا يعد من توسل بالانبياء و الصالحين ممن اتخذ من دون الله انداد كما زعموا فكيف يتجرؤن على الاستشهاد على مذهبهم بمثل قوله تعالى (**وَ لاَ يَاْمُرَكُمْ اَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰئِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ اَرْبَابًا** * آل عمران: ٨٠) و نحوه فهو من التحريف و وضع الشئ في غير موضعه فان قلت شبهة

من منع التوسل رؤيتهم بعض العوام يطلبون من الصالحين احياء و امواتا اشياء لا تطلب الاّ من الله تعالى و هى محل التراع عند الشيخ ابن تيمية لا مطلقا كما هو صريح كلامه في عدة مواضع من كتبه و رسائله لانه استشهد في بعض ما يجوز من ذلك بحديث الضرير الآتي و عبارته و فيه حديث الضرير و هذه جملة معترضة لداعي الحال و يجدونهم يقولون للولي افعل لي كذا و كذا فهذه الالفاظ الصادرة منهم توهم التأثير لغير الله تعالى اجيب بان هذه الالفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلي و القرينة عليه صدوره من موحِّد و لذا اذا سئل العامي عن صحة معتقده بذلك فيجيبك بان الله هو الفعال وحده لا شريك له و انما الطلب من هؤلاء الاكابر المحترمين عند الله تعالى المقربين لديه على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده فان لهم ما يشاؤن عند ربهم كما أخبر تعالى بذلك عنهم و لكن مع ذلك لا بأس بان تأمر العامة بسلوك طريق الادب مع الله تعالى بالعبارة موافقة للقصد بل هذه من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و لا يصح لنا ان نمنعهم من التوسل و الاستغاثة مطلقا كيف و قد قال تعالى (**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ** * القصص: ١٥) و اما السنّة فقد اخرج البخاري في تاريخه و البيهقي في الدلائل و الدعوات و صححه ابونعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال ادع الله لي ان يعافيني قال (**ان شئت اخرت ذلك و هو خير لك و ان شئت دعوت الله تعالى**) قال فادعه فامره ان يتوضأ فيحسن الوضوء و يصلي ركعتين و يدعو بهذا الدعاء (**اللّهمّ اني اسألك و اتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه و سلم نبيّ الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللّهمّ شفعه فيّ**) ففعل الرجل فقام و قد ابصر و ليس لمانع التوسل ان يخصه بحال الحيوة لان الصحابة رضى الله عنهم استعملوه بعد انتقاله عليه السلام فقد اخرج البيهقي و ابو نعيم في المعرفة عن ابي امامة بن سهل بن حنيف ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان في حاجة و كان عثمان لا يلتفت اليه و لا ينظر في حاجته فلقى عثمان بن حنيف و شكى اليه ذلك فقال ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل فذكر له لفظ الدعاء المتقدم في الضرير ثم رح حين اروح فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم اتى باب عثمان فجاء البواب فأخذه بيده و ادخله على عثمان فاجلسه معه على الطنفسة فقال انظر ما كانت لك من حاجة ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان

بن حنيف فقال جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي و لا يلتفت اليّ حتى كلمته فقال ما كلمته و لكن رأيت النبى صلى الله عليه و سلم و جاءه ضرير فشكا اليه ذهاب بصره و ذكر له نحو الحديث المتقدم انتهى من شرح الخصائص للمنيني رحمه الله فهذا توسل و نداء بعد وفاته صلى الله عليه و سلم و حديث استشفاع آدم و توسله بالنبي صلى الله عليه و سلم قبل وجوده عليه السلام. ورد من عدة طرق و اخرجه البيهقي و الحاكم و الطبراني في الصغير و ابونعيم و ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و نقل غالبها في المواهب اللدنية و في آخر الحديث كما في رواية فيها فقال آدم يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد باهل السموات و الارض لشفعناك و روى البيهقي و ابن ابي شيبة باسناد صحيح ان الناس اصابهم قحط في خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه و كان من اصحاب النبي عليه السلام الى قبره عليه السلام و قال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه و سلم في المنام و اخبره بانهم يسقون و ليس الاستدلال بالرؤيا فانها و ان كانت حقا لا تثبت حكما لامكان اشتباه الكلام على الرّائي و انما الاستدلال بفعل الصحابي و هو بلال بن الحارث رضى الله عنه فأتيانه لقبر النبي عليه السلام و نداؤه له و طلبه منه السقيا دليل على ان ذلك جائز و هو من باب الاستغاثة و التوسل و التشفع و لم ينكر عليه احد من الصحابة فعلم ان ذلك من اعظم القربات. و روى ابن ماجة و ابن السني باسناد صحيح عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللّهمّ اني اسألك بحق السائلين عليك**) و عن ابي سعيد الخدري (**اسألك بحق ممشاي هذا أني لم اخرج اشرا و لا بطرا و لا رياء و لا سمعة و خرجت اتقاء سخطك و ابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار و ان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الاّ انت**) اقبل الله عليه بوجهه و استغفر له سبعون الف ملك و لم يزل السلف الصالح و من بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم للصلاة من غير نكير و مما ورد عنه عليه السلام من التوسل قوله (**اللّهمّ اغفر لامي فاطمة بنت اسد و وسع عليها مدخلها بحق نبيك و الانبياء الذين من قبلي**) و هذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير و الأوسط و ابن حبان و الحاكم و صححوه في الاذكار للامام النووي رحمه الله ما نصه روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن

مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال (**اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان الله عزّ و جلّ في الارض حاضرا سيحبسه**) و امثال هذا كثير لا يحصر و فيها ذكر كفاية لطالب النجاة دون المعاند و المجادل و اما عبارات الفقهاء فهي كثيرة لا تستقصى فمنها من فقهاء الحنابلة ما ذكره العلامة المحقق العمدة الثبت الشيخ منصور البهوتي [منصور البهوتي الحنبلي توفى سنة ١٠٥١ هـ. [١٦٤١ م.] بمصر] شارح المنتهى [مؤلف المنتهى تقي الدين محمد الفتوحي الحنبلي] و الاقناع و محشيهما قال في شرحه للاقناع قال السامري و صاحب التلخيص لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ و العلماء المتقين و قال الحافظ بن الجوزي يجوز ان يستشفع الى الله تعالى برجل صالح و قيل يستحب و هو المعتمد و قال الامام احمد في منسكه الذي كتبه للمروزي انه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه و سلم في دعائه قال صاحبه الامام الخطير ابراهيم الحربي [توفى سنة ٢٨٥ هـ. [٩٩٥ م.]] الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق المجرب و جوز ذلك ابن مفلح في شرح مناسك المقنع و مثله في شرح الغاية و مثله في مناسك الشيخ سليمان بن على جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الوهابية المذكور فقد خالف جده بذلك ايضا و نظيره في كثير من كتب المذهب يطول ذكرها و قال العلامة القوي الكرمي في دليل الطالب و يباح التوسل بالصالحين قال شارحه و قد استسقى عمر بالعباس رضى الله عنهما و معاوية بيزيد بن الاسود رضى الله عنهما و بهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا او بغير النبي عليه السلام لان فعل عمر و معاوية حجة سيما و قد قال عليه السلام (**ان الله جعل الحق على لسان عمر و قلبه**) رواه احمد و الترمذي و لا يقال فيه دليل على امتناع التوسل بالنبي عليه السلام بعد وفاته او غيره لان التوسل و الاستسقاء به عليه السلام بعد وفاته كان معلوما متواترا فيما بينهم كما تقدم في حديث بلال بن الحارث و قصة عثمان بن حنيف و نحوهما و كما في توسل آدم قبل وجوده و هو من باب اولى و قال في المبدع يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه لانه اقرب الى الاجابة انتهى و قال السبكي [ابو الحسن على السبكي توفى سنة ٧٥٦ هـ. [١٣٥٥ م.] في القاهرة] و يحسن التوسل و الاستغاثة و التشفع بالنبي الى ربه و لم ينكر ذلك احد من السلف و الخلف حتى جاء ابن تيمية [احمد ابن تيمية توفى سنة ٧٢٨ هـ. [١٣٢٨ م.] في الشام] فانكر ذلك و عدل عن الصراط المستقيم و ابتدع ما لم يقله عالم قبله و صار بين اهل الاسلام مثله انتهى.

اقول ان ابن تيمية لم يمنع التوسل و التشفع و انما منع الاستغاثة بغير الله على معنى قصده لا مطلقا بل بمعنى طلب الاشياء التي لا يمكن حصولها من غير الله مثل غفران الذنوب و هداية القلوب و انزال المطر و انبات النبات و اما الاستغاثة بغير الله بمعنى طلب شئ من النبي عليه السلام يمكن حصوله منه فقد اجازه و استدل له بقوله تعالى (**فاستغاثه الذي من شيعته**) و عبارته في رسالته في جواب سؤال رفع اليه رضى الله عنه بهذا الخصوص و اما التوسل بالنبي عليه السلام ففيه حديث في السنن رواه النسائي و الترمذي و غيرهما ان اعمى اتى النبي صلى الله عليه و سلم و ذكر حديث الضرير المتقدم فلعله رجع عما ذكره السبكي و في الشفاء للقاضي عياض قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال له لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى ادب قوما فقال (**لاَ تَرْفَعُوا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ** * الحجرات: ٢) و ذم قوما فقال (**اِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ اَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ** * الحجرات: ٤) و حرمته ميتا كحرمته حيّا فاستكان لها ابوجعفر و قال يا ابا عبد الله أستقبل القبلة و ادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال و لِمَ تصرفُ وجهك عنه و هو وسيلتك و وسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله و استشفع به فيشفعك الله و في نسخة فيشفعه الله تعالى قال الله تعالى (**و لو انّهم**) و في شرح نور الايضاح للشرنبلالي الحنفي العلامة القوي في باب الزيارة ذكر فيه هيئة السنة و الادب عند الوقوف في مواجهته صلى الله عليه و سلم و فيها و تقول السلام عليك يا سيدي يا رسول الله الى ان قال قد قال الله تعالى (**و لو أنّهم**) ثم تقول و قد جئناك ظالمين لانفسنا مستغفرين لذنوبنا فاشفع لنا الى ربك و اسأله ان يميتنا على سنتك و ان يحشرنا في زمرتك و ان يسقينا بكأسك غير خزايا و لا نادمين الشفاعة الشفاعة يا رسول الله و كذلك ذكر في الاقناع و المنتهى انه يستحب الاتيان بهذه الآية عند زيارته عليه السلام و نحوه في كتاب الشافعية حتى نقل ابن حجر في الصواعق المحرقة ان الامام الشافعي رضى الله عنه توسل بآل البيت النبوي حيث قال:

آل النبي ذريعتي * و همُ اليه وسيلتي

ارجو بهم اعطى غدا * بيدي اليمينِ صحيفتي

فعلم مما تقدم ان فقهاء الائمة الاربعة اجازوا التوسل و الاستشفاع و

الاستغاثة بالانبياء و الصالحين مطلقا في كل ما يطلب من المولى تعالى حال حياتهم و بعد انتقالهم و مماتهم و كما ذكروه في المناسك عند ذكرهم زيارة قبره الشريف عليه السلام قالوا انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف و يتوسل به الى الله تعالى في غفران ذنوبه و قضاء حاجاته و يستشفع به عليه السلام و من احسن ما يقول ما جاء عن العُتبي و هو مروي ايضا عن سفيان بن عيينة و كل منهما من مشايخ الامام الشافعي قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول و في رواية يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه (**وَ لَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنفُسَهُمْ جَآؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** * النساء: ٦٤) و قد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم بكى و انشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه * فطاب من طيبهن القاع و الاكَمُ

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف و فيه الجود و الكرمُ

قال العتبي ثم استغفر الاعرابي و انصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي عليه السلام في النوم فقال يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم اجده و محل الاستدلال ان العلماء استحسنوا الاتيان بذلك المذكور و قد ثبت في الحديث عرض اعمال امته عليه عليه السلام و ان ما رأى منها من خير حمد الله و ما رأى من شر استغفر لهم و قد نقل في المواهب اللدنية عن المالكية و الشافعية و الحنفية استحباب الدعاء عند القبر الشريف و قد قدمنا صحة القول به عن أئمة الحنابلة و قد اطال الامام السبكي الكلام في نقل نصوص المذاهب الاربعة في ذلك و هو الحق كما قدمنا فتلخص و تحصل من هذا جميعه صحة القول بالتوسل به عليه الصلاة و السلام و النداء و الاستغاثة و الاستشفاع اذ لا فرق بينهم كما سبق قبل وجوده و في حال حياته و بعد مماته صلى الله عليه و سلم و كذلك غيره من الانبياء و الاولياء و الصالحين و ان هذا مذهب اهل السنة و الجماعة لما دلت عليه الاخبار الصحيحة لانا معاشر اهل السنة لا نعتقد تأثيرا و لا خلقا و لا اعداما و لا نفعا و لا ضرا الاّ لله وحده لا شريك له لا لحيّ من ذلك شئ و لا لميت فلا فرق بين حالتي الحياة و الممات و اما الذين يفرقون بين الحالتين فهم الى الشرك اقرب و مذهبهم يوهم التأثير للحي فقد اخذوا من حيث لا يشعرون و دخل الشرك في توحيدهم شاؤا ام ابوا فكيف يدعون انهم محافظون على التوحيد و ينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان

عظيم فالتوسل و التشفع و الاستغاثة كلها بمعنى واحد و ليس لها في قلوب المؤمنين معنى الاّ التبرك بذكر احباب الله تعالى و توسطهم في ذلك على وجه الاسباب العادية و ذلك مثل الكسب العادي فلا تأثير لشئ من ذلك اصلا لما ورد (**ان الله تعالى رحم بهم العباد احياء و امواتا**) و كما تقول هذه الاكلة اشبعتني و هذه الشربة اروتني و نحو ذلك و المشبع و المروي هو الله تعالى بهذا السبب و قد يتخلف بمشيئة الله تعالى و مسألتنا كذلك فالاستغاثة و الطلب في حقيقة الامر من الله تعالى لا من غيره فلا يصح القول بمنعها و انها بدعة مع اجماع الفقهاء على جوازها بل استحبابها في بعض الاحيان كما تقدم و الاجماع حجة قاطعة فقد روى الترمذي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**ان الله لا يجمع امتي على ضلالة و يد الله مع الجماعة**) و في سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (**اتبعوا السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار**) فنسأله ان يثبت قلوبنا على اتباع سنته و هديه فقد روى الترمذي عن انس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر ان يقول (**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**) الى آخر الحديث و هذه المسألة مما تغالى فيها و غلط الطائفة الوهابية المتقدم ذكرهم و اطلقوا الكفر على فاعل ذلك المذكور و قد ثبت فيما بيّنا جوازه بل استحبابه و اما الالفاظ المغلوطة الواقعة من بعض العوام الموهمة للتأثير فمحملها ظاهر و مثلها كثير في القرآن و السنّة من اسناد بعض الاشياء لاسبابها و هى من باب المجاز العقلي كما قدمنا فلا يجوز تكفير المسلمين بها اصلا و من كفرهم بمثل ذلك فهو الى الكفر اقرب و يجب حمل كلام المسلمين على المحامل الحسنة و لو الى سبعين محملا كما ذكروه فما دام يمكن تأويل كلامهم و حمله على محمل صحيح فلا يجوز القول بكفرهم بذلك سيما و هذه المسألة واضحة لا اشكال فيها فلا كفر بها اصلا و هذا من جهل هذه الفرقة الجهل المركب حيث لم تعترف بجهلها بل صفتها العناد و المكابرة مصحوبة بدعوى اجتهاد او ترجيح كما قدمنا فنسأل الله تعالى لنا و لهم التوبة و الحفظ و يجب عليهم الرجوع الى الحق فانه فريضة نسأله تعالى الهداية اجمعين بجاه انبيائه و اوليائه الصالحين آمين

{المقالة الخامسة}

{في استحباب زيارة القبور و شد الرحيل اليها سيما زيارة قبره الشريف} {صلى الله عليه و سلم}

اما زيارة قبر نبينا محمد عليه السلام فهي من افضل الطاعات و اجل القربات وردت بها الآثار و حث عليها النبي المختار و تنافس بها الائمة الاخيار لقوله صلى الله عليه و سلم (**من زار قبري وجبت له شفاعتي**) رواه الدارقطني و كثير من ائمة الحديث و قد اطال السبكي الكلام في بيان طرقه في شفاء السقام و قوله عليه السلام (**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**) و في رواية (**من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الاّ زيارتي كان حق عليّ ان اكون له شفيعا يوم القيامة**) اخرج بعض هذه الروايات البيهقي و ابو يعلى و الدارقطني و الطبراني و ابن عساكر و قال في الاقناع و المنتهى اللذين هما عمدة مذهب احمد و اذا فرغ يعني الحاج من الحج استحب له زيارة قبره عليه السلام و قبر صاحبيه ابي بكر و عمر رضى الله عنهما قال في شرح الاقناع قال ابن نصر الله من لازم استحباب زيارة قبره عليه السلام و صاحبيه استحباب شد الرحل اليها لان زيارته عليه السلام للحاج لا تمكن بدون شد الرحل فهو تصريح باستحباب شد الرحل للزيارة ثم لا مخصص لذلك فنقول بجواز شدها لزيارة المشاهد كلها و القبور و قال في الاقناع قال الامام احمد اذا حج الذي لم يحج قط يعني عن غير طريق الشام فلا يأخذ على طريق المدينة لانه ان حدث به الموت كان في سبيل الحج اى ينبغي له ان يقصد مكة من اقصر الطرق و لا يتشاغل بغير الحج ثم قال الامام و ان كان الحج تطوعا بدأ بالزيارة قال ابن نصر الله في هذا اي نص الامام المذكور دليل ان الزيارة مقدمة في الفضيلة على نفل الحج و على استحباب شد الرحل اليها قبله و مقتضى عمومه للنساء ايضا و اما التمسح بقبره الشريف فلم يثبت عن احد من الحنابلة الاّ ما نقله في شرح الاقناع في الجنائز عن الامام ابراهيم الحربي صاحب الامام احمد انه يستحب تقبيل حجرة النبي عليه السلام و الامام قد احاط بالسنة فلا بد هناك من دليل له و حاشاه من ان يحكم بشئ بلا دليل و الله اعلم

و اما زيارة بقية القبور فقد صحت بها الاخبار ايضا و اتفق على استحبابها للرجال و الفقهاء من الصحابة و غيرهم فانه ثبت انه صلى الله عليه و سلم كان يكثر من زيارة قبور البقيع في كل جمعة فتسنّ زيارتها للاعتبار و التذكر و لانتفاع الميت بالقراءة عنده و الذكر و لم يختلف اثنان بذلك و اما للنساء فيجوز بطريق الصدقة لا

القصد لكن على وجه البذلة و امن الفتنة و لو قيل بمنعها في هذا الزمان الكثير الشر و الفساد القليل الخير لا يبعد كما نقله بعض المتأخرين سيما و قد ورد عن عائشة الصديقة رضى الله عنها و عن ابيها انها قالت لو ادرك رسول الله صلى الله عليه و سلم ما احدث النساء اليوم لمنعهن المساجد فالقبور من باب اولى و هذا في زمنها ففي زماننا من باب اولى و لذا اطلق بعضهم المنع بالنسبة اليهن و هو حسن لا يشك به عارف بأحوال الزمان اليوم و ربما يحمل عليهن حديث لعن الله زوارات القبور و قد قدمنا نقل شرح الاقناع عن صاحب الامام احمد ابراهيم الحزلي انه قال الدعاء عند قبر معروف الترياق المجرب اقول يؤخذ من هذا تقصد المواضع الفاضلة للدعاء رجاء الاجابة و شواهد هذا كثيرة لا تعارض و قال القسطلاني في المواهب اللدنية قد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه الامام النووي و اوجبها الظاهرية و محل الاجماع للرجال فقط فعلم من هذا استحباب زيارة مشاهد الصالحين و الاولياء و غيرهم و اما شد الرحل لزيارة القبور و المشاهد فهو مباح لا كراهة فيه في معتمد مذهب الامام احمد و قال في المنتهى و الاقناع و شرحيهما في صلاة القصر ان السفر يكون واجبا كالسفر لحج و جهاد متعين و مسنونا كالسفر لزيارة الاخوان و عيادة المريض و زيارة الوالدين و مباحا كالسفر لنزهة و فرجة و تجارة او قصد مشهد او قبر نبيّ او مسجد غير الثلاثة انتهى فمنه يعلم ان شد الرحل لغير الثلاثة مباح لا كراهية فيه و قال في الاقناع و شرحه و يترخص اي المسافر ان قصد بسفره مشهدا او قصد مسجدا و لو غير الثلاثة او قصد قبر نبي او غيره كولي و حديث (**لا تشدّ الرحال الاّ الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا و المسجد الحرام و المسجد الاقصى**) اي لا يطلب ذلك فليس نهيا عن شدها لغيرها خلافا لبعضهم لانه عليه السلام كان يأتي قباء راكبا و ماشيا و يزور القبور و يقول زوروها فانها تذكر الآخرة انتهى كلام الاقناع و شرحه و قوله خلافا لبعضهم اي لبعض أئمة الحنابلة الذين كرهوا شد الرحل لزيارة المشاهد و منعوه من الترخص في سفره كابي الوفاء ابن عقيل البغدادي و الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني و تلميذه ابن القيم و المذهب الصحيح ما قدمناه عن الاقناع و المنتهى و اجاب بعضهم عن الحديث المذكور ان معناه لا تشد الرحال الى مسجد لاجل تعظيمه و الصلاة فيه الاّ الى المساجد الثلاثة فانها تشد الرحال اليها لتعظيمها و الصلاة فيها و لا بد من تقدير في الحديث المذكور و الاّ لاقتضى منع شد الرحل للحج و الجهاد و الهجرة من دار الكفر لدار السلام و لطلب العلم و للتجارة و

غير ذلك و لا يقول بهذا احد و يدل على التقدير المذكور آنفا التصريح به في حديث سنده حسن و هو قوله صلى الله عليه و سلم (**لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الى مسجد يبتغي الصلاة فيه غير المسجد الحرام و مسجدي هذا و المسجد الاقصى**) و ذكر العلامة القسطلاني في شرح البخاري عند قوله صلى الله عليه و سلم (**لا تشد الرحال الاّ الى ثلاثة مساجد**) اختلف العلماء في شدها لغيرها اى المساجد الثلاثة كالذهاب الى زيارة مشاهد الصالحين و الى المواضع الفاضلة فقال ابو محمد الجويني يحرم عملا بظاهر هذا الحديث و اختاره القاضي حسين و قال به القاضي عياض و طائفة و الصحيح عند امام الحرمين و غيره من الشافعية الجواز و خصوا النهي بنذر الصلاة في غير الثلاثة و اما قصد غيرها لغير ذلك كالزيارة فلا يدخل انتهى كلامه و ما ذهب اليه الشيخ تقي الدين من منعه شد الرحال لزيارة المشاهد مطلقا فليس بمذهب للامام احمد و لم يصح رواية عنه فيه و المذهب ما قدمناه عن الاقناع و المنتهى و الشيخ مع علو كعبه في العلوم و تقدمه في المنطوق و المفهوم لا يتابع في مسألتي الزيارة و الطلاق الثلاث على ان المحققين من اصحابه اجابوا عنه بانه كره اللفظ ادبا لا اصل الزيارة فانها من افضل الاعمال و اجل القرب الموصلة الى ذي الجلال و هو قريب و الاّ فيبعد مع مقام الشيخ تفضيله السفر للتجارة و النزهة على السفر للزيارة و نحوها و لان مشروعيتها محل اجماع بلا نزاع و ايضا حديث (**لا تشدّ الرّحال**) وارد في النهي عن نذر الصلاة في غير المساجد الثلاثة لاستواء فضيلتها فمن نذر الصلاة في احد المساجد الثلاثة لزمه ذلك و به قال مالك و احمد و الشافعي في البويطي و اختاره ابو اسحق المروزي و قال ابوحنيفة لا يجب مطلقا و قال الشافعي في الام يجب في المسجد الحرام لتعلق النسك به بخلاف الآخرين و من نذر اتيان غير هذه الثلاثة لصلاة او غيرها فلا يلزمه لاستواء فضيلتها فتكفي صلاته في اي مسجد شاء قال النووي لا اختلاف فيه الاّ ما روى عن الليث من وجوب الوفاء و عن الحنابلة رواية انه لا يجب و يلزمه كفارة يمين و غالب هذه العبارة من القسطلاني في شرح البخاري و الله اعلم و احكم

رسالة في تأييد مذهب الصوفية

بســـــم الله الرّحمن الرّحيم

{الخاتمة} في التصوف و اهله و منشأ الاعتراضات عليهم من علماء الظاهر و الجواب عنها و سبب تعرضي لذلك ما سمعته و ما بلغني من الانكار في هذا الزمان على هؤلاء الاخيار من هذه الفرقة الوهابية و غيرهم من اهل العلم عن جهل منهم بعلم هذه الطائفة الشريفة و ما هم عليه من التوحيد الخاص المطابق للشريعة بالدليل و البرهان و الكشف و العيان كما ستعرفه و بالله المستعان. اما التصوف فقد عرفه سادات هذه الطائفة بتعاريف تزيد على مائة تعريف و مرجعها كلها الى صدق التوجه للحق تعالى و اثبات من لم يزل و نفي من لم يكن على المعنى الذي ستقف عليه ان شاء الله تعالى و اما اهله فهم اهل الوجود و ارباب المعرفة و الشهود القائلون بوحدة الوجود الحق على المعنى الآتي موضحا و هم الوف مؤلفة و سأتعرض لطائفة منهم هم سادات القوم و رؤساؤهم ممن علت مقاماتهم و ارتفعت درجاتهم و استقامت حالاتهم و ثبتت كراماتهم و كانت التقوى زادهم و معرفة الله تعالى و عبوديته مرادهم نفعني الله بهم و المسلمين آمين و سبب شهرتهم بهذا القول دون غيرهم كونهم تصدّوا للتأليف و تحرير هذه المسألة الايمانية بالاذن الالهي و لعل غيرهم لم يؤذن لهم بذلك و قد صدر عليهم الرد من علماء الظاهر لحكمة يعلمها تعالى و اما منشأ اعتراض المعترضين عليهم فهو القول بوحدة الوجود و اما بقية الاعتراضات عليهم فكالفرع لهذه المسألة فلذا طوينا ذكره و اقتصرنا في النقل على بيان هذه المسألة التي هي اهم المسائل و بيان نذر قليل مناسب لها و بالحقيقة هي التوحيد الحقيقي الخاص و سر الايمان و الاخلاص الذي لا يمكن عقلا و لا شرعا القول بغيره لمن فهم ذلك على وجهه حق الفهم و هي لب الشريعة المطهرة و عينها و لكنها في الاعصر المتقدمة كانت غامضة الفهم و الادراك بسبب خفاء الاشارة اليها و عدم التصريح بدلائلها لحكمة ما فلم يتبين كشف معناها و لا فك معماها الاّ في كلام السادات المتأخرين المتبحرين كمثل الاستاذ الكبير القطب العارف بالله تعالى و الدال عليه شيخ الشيوخ في وقته سيدي عبد الوهاب الشعراوي [عبد الوهاب الشعراني الشافعي توفى سنة ٩٧٣ هـ. [١٥٦٥ م.]] بالواو هكذا وجدته بخط الاستاذ الآتي ذكره و مثل سيدي العارف بالله تعالى و الدال عليه القطب الاوحد صاحب المشرب السليماني الانسي سيدي عبد الغني النابلسي [عبد الغني النابلسي توفى سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م.] في الشام] و السيد القطب العارف بالله تعالى و الدال عليه السيد مصطفى البكري الصديقي و غيرهم و من بحرهم نقلت فاصغى لما يلقى من معناها بقلب كالحديد او القِ السمع و انت شهيد او

كف لسانك و اجلس من بعيد فممن تكلم بهذه المسألة من رؤساء هذه الطائفة و هو من اعظمهم علما و فهما حضرة الوارث المحمدي الكامل الفاني عن نفسه الباقي بربه العارف الكبير و الاستاذ الخطير الشيخ محي الدين ابن العربي [محي الدين العربي توفى سنة ٦٣٨ هـ. [١٢٤٠ م.] في الشام] الملقب بالاكبر و الكبريت الاحمر و قد تصدى للرد عليه جماعة من كبار علماء الظاهر نطوى ذكرهم لانه غير مقصود فانه من القائلين بها على وجهها الشرعي و قد وافق فيها من تقدمه من كبار رجال هذه الطائفة المباركة المرضية كالاقطاب الاربعة المشهورين الخاضع لهم كل من في وقتهم الى يومنا هذا و المتفق على حسن احوالهم كلمة اهل الملة المحمدية و ابي يزيد البسطامي الذي اذا اطلق لفظ العارف انصرف اليه و ابي مدين الذي يعبر عنه الشيخ الاكبر بشيخنا و سيد الطائفتين [سيد الطائفة الجنيد البغدادي الحنفي توفى سنة ٢٩٨ هـ. [٩١٠ م.]] الجنيد البغدادي و ابي طالب المكي و ابي الحسن الشاذلي و ابي سعيد الخراز و شمس الدين التبريزي و جلال الدين الرومي صاحب المثنوي و تلميذه صدر الدين القونوي و بهاء الدين [بهاء الدين محمد شاه نقشبند توفى سنة ٧٩١ هـ. [١٣٨٩ م.]] نقشبند و عفيف الدين التلمساني و ابن الفارض سلطان العاشقين و حجة الاسلام [حجة الاسلام الامام الغزالي توفى سنة ٥٠٥ هـ. [١١١١ م.]] كافة الغزالي و غيرهم من عظماء الرجال الواصلين الى عين التوحيد و اهل الحقيقة و التجريد لا يحصون عددا الاّ انهم رضى الله عنهم لم يدونوا في هذا الشأن كثيرا كما دون سيدي الشيخ الاكبر فيه و الظاهر انه لعدم الاذن و الاّ فكان يجب عليهم ذلك كما اخبر به الشيخ رضى الله عنه عن نفسه في الفتوحات و الفصوص و غيرهما بانه ما دوّنها الاّ عن اذن من حضرة الرسول الاعظم صلى الله عليه و سلم و قد كشف في تدوينه لهذه المسألة و غيرها من الحقائق عن باطن الشريعة الاحمدية و وضح الكلمات العظيمة القرآنية و بين جوامع الكلم المصطفوية بما لا يخطر على قلب بشر و لا تحيط به الفكر و انما هو علم لدني و كشف رباني بل هو نفث في روع فما قال شيئا الاّ عن الله فانه رضى الله عنه العبد الخاص الذي يقول بالحق و يسمع به و يبصر به كما اخبر به عن نفسه فكل كلامه حكم و من يؤتِ الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا و لنقدم اولا عقيدة هذا الامام العارف الموافقة لعقيدة السلف الصالح التي اخبر بها عن نفسه بقوله سائلي عن عقيدتي احسن الله ظنه علم الله انها شهد الله انه اشار الى قوله تعالى (**شَهِدَ اللّٰهُ اَنهُ لَآ اِلٰهَ اِلاَّ هُوَ وَ الْمَلٰئِكَةُ وَ اُولُوا الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لَآ اِلٰهَ اِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** * آل عمران: ١٨) و مع ذلك هو رضى الله عنه مجتهد مطلق في

مذهبه الخاص الفقهي و الاصل الديني كما نبه على ذلك في فتوحاته المكية قال فيها اني اذا ذكرت مسألة وافقت فيها مذهب الحكيم او المعتزلي او الجبري او خلافهم فليس قصدي تقليد واحد منهم و انما هو مجرد موافقة رأيي رأيا و من المعلوم البين ان ليس جميع ما ذهب اليه الحكيم و المعتزلي او الجبري باطلا و غير صحيح بل لابد و ان يكون فيه ما شأنه الصحة و كثيرا ما يوافق وضعه في مذهبه الاشراقيين او غيرهم و لنذكر ما يتعلق بالكلام على اساس وحدة الوجود مع ادلتها فنقول مذهب اهل الحق من اهل الله تعالى الواقفين على عين الشريعة المطهرة و اسرارها بعد وقوفهم على ظواهرها و اصطلاحات اهل الفنون باسرها و اتقانهم لاصولها و فروعها ان الوجود من حيث هو هو اي لا بشرط بشئ معه هو الحق تعالى و ان هذا الوجود واحد بوحدة لا تزيد على ذاته و انه موجود خارجي فهذه دعاوي ثلاث ثابتة فيه عندهم و سنذكر ادلتهم فيها (مسألة) اذا كان لهذا الوجود الوحدة الذاتية فما هو في الخارج منه او في الذهن من الافراد فانما هو افراد حصصية لا حقيقة كما تقول ان القيام من حيث هو واحد فاذا اضيف الى زيد قيل هو قيام زيد و الى عمرو قيل هو قيام عمرو و هكذا و اذا قطعت النسبة عنهما رجع القيام شيئا واحدا (مسألة) اخرى قد علم من قولنا لا بشرط بشئ ان جميع ما يعتبر لهذا الوجود من كونه كليا او جزئيا خارجيا او ذهنيا عاما او خاصا امرا اعتباريا او حقيقيا الى غير ذلك من وجوه الاعتبارات ليس يراد به هذا الوجود الحق المذكور لتقيد ذلك و اطلاقه نعم هذا يكون له باعتبار تنزلاته في مراتبه و ظهوراته فيها كالماء فانه من حيث ذاته لا لون له فاذا ظهر بالاواني المتلونة تبعها في اللونية فقيل فيه احمرا و اخضرا و اصفرا و هكذا فلا يرد ما وقع في كلامهم رضى الله عنهم من ان العالم هو الحق او ان الكل هو تعالى فالمخلص من هذا ان يقال ما دام العالم بخصوصياته كهذا زيد و هذا عمرو و نحو ذلك فهو غير الحق قطعا و هو كفر باجماع الطائفتين حينئذ و اذا قطع النظر عن الخصوصيات و اضمحلت و كان الحق من ورائها وحده لا غير رجع العالم الى انه هو الحق تعالى و هو حقيقة الايمان و نفي الشرك لان الوجود لله وحده كما ذكر و ايضاح ذلك بما ذكره الاستاذ الشعرواي رضى الله عنه في كتابه الموازين الذرية ان للحق تعالى مرتبتين مرتبة الاطلاق الحقيقي المنزه عن كل قيد حتى عن الاطلاق فانه قيد له و هو منزه عن القيود و هو في هذه المرتبة ثابت له الغني عن العالمين و لا خبرة للعالمين به و لا معرفة و لا اشارة ابدا و المرتبة الاخرى مرتبة التقييد و هو الظاهر سبحانه و تعالى بها للعالمين به في كل

صورة محسوسة و معقولة و موهومة فهى ثابتة له بوجه التنزل بمقتضى قوله تعالى (**لله ما فى السموات و ما فى الارض**) و قوله تعالى (**وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ** * النمل: ٩١) بلا تأويل اي مظهر له فكل صورة مما ذكر هي مظهر له و هو قيومها و هو من حيث اطلاقه واحديته و غناه عن العالمين متره عنها و باعتبار هذه المرتبة ثبتت له صفات التشبيه كظهوره بالصور المختلفة يوم القيامة الثابت بالاحاديث الصحيحة و المشي و الهرولة و التعجب و التبشبش و غير ذلك مما ورد بلا تأويل لها و اخراجها عن المتبادر منها بلغة العرب التي نزل القرآن بها و كشف هذا المعمى و فك هذا الرمز يظهر بمثال حسي ذكره الاستاذ العارف سيدي عبد الغني النابلسي رضى الله عنه في بعض مؤلفاته و هو الصورة داخل المرآة اذا قابلها شخص فيظهر للرائي صورته داخل المرآة كأنها هو حتى انه ربما يظنها القاصر العقل او الصغير انها هي فلان و يناديها باسمه و ربما يمد يده اليها زاعما انها هو و الحال انها مظهر للحقيقة التي تقابلها و مثال لها ليست هي هو في نفس الامر بل هو متره عنها و لا مناسبة بينها و بينه بوجه من الوجوه و بذاتها تعطي التتريه له و لذا يمينها تكون شمالا له و بالعكس و من البيّن انه لا يلزم من ظهور الشئ بصورة المرآة تحوله في ذاته و لا اتصاله بها و لا حلوله فيها و لا اتحاده و لا تغيره عما هو في ذاته بوجه من الوجوه لانها محض مظهر له و صورة معدومة في الخارج مقدرة مفروضة لا وجود لها فيه بل لها الثبوت ما دامت تلك الحقيقة ماسكة لها بمقابلتها لها كذلك ظهور الحق تعالى بصور العوالم باسرها و لله المثل الاعلى و الاّ نزه ابد الآبدين و دهر الداهرين انما هو محض تجل و انكشاف لا يلزم منه ان يتصل بها او يحل فيها او يتحد معها و لا مناسبة بينه و بينها بوجه من الوجوه لأنها محض صور و تقادير عدمية مفروضة لا وجود لها بالنسبة للحق تعالى تجلى لها فظهرت على صورة ما في علمه القديم الازلي فلها الثبوت في العلم لا الوجود في الخارج كما اذا صور الانسان في نفسه و عقله صورة ما فما دامت هذه الصورة المتخيلة ممسوكة في ذهنه فلها الثبوت و اذا صرف النظر عنها على الفرض و التقدير كانت معدومة و ليس لها وجود خارج الذهن و بالنسبة اليه هي معدومة باطلة فكيف تحل الحقيقة في العدم او تتحد به هذا مما لا يتصوره العقل فضلا عن النقل لان الحلول و الاتحاد لا يتصور و لا يمكن الا بين شيئين حقيقين مستقلين بالوجود و قد ثبت بالعقل و النقل عدم وجود شئ مع الحق تعالى بل لها الثبوت فقط فلا حلول و لا اتحاد و لكونها ثابتة غير منفية صح خطاب الله تعالى لها بقوله (**اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَآ اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ**

* النحل: ٤٠) و لا يخاطب الا ثابت فيكون المعنى اذا اردنا ابراز شئ و اظهاره من حضرة علمنا الثابت فيه الغير الموجود في الخارج ان نقول له ابرز و اظهر فيبرز و يظهر يتجلى الحق تعالى عليه بوجوده و بمده له بفيض وجوده و يكون بقائه بقيومية الحق تعالى عليه و امداده فهو كظل الشجرة بالنسبة لاصلها و لو ثبت له الوجود بالاستقلال لم تثبت له صفة الافتقار للحق تعالى و هي ذاتية له في كل لمحة و اقل من ذلك و بهذا المقدار اعني الثبوت المذكور صح التكليف و تم التشريف و يأتي لهذا تمام على الله تعالى بلوغ المرام اللّهمّ الهمنا رشدنا و اعذنا من شر انفسنا و لنرجع الى ما كنا فيه من بحث الوجود فنقول ثم ان هذا الوجود الحق يستره في اول مراتبه عن كل قيد و تعين فانتفى العلم به حينئذ لذلك و انما دلت رسله تعالى عليه و الحالة هذه و لولا الرسل لم يعلم بحال في تلك المرتبة التي لها الاطلاق الحقيقي فلا اسم له هنا و لا رسم و هذا شأن الذات الاحدية قال تعالى (**قل هو الله احد**) اشار بضمير الغيبة الى الغيب المطلق الذي ينفي التعين و العلم و انه هو الله احد ثم ان التعين و المعرفة كانا له تعالى باعتبار واحديته و هي الحضرة المقيدة المذكورة سابقا و عند تجلياته بصورها الاسمائية و الصفاتية التي لا تتناهى فالمرتبة الاولى هي الكنز المخفي المشار اليه بقوله في الحديث القدسي كما ذكره حضرة الشيخ رضى الله عنه و غيره (**كنت كنزا مخفيا**) و المرتبة الثانية المحبة مرتبة (**فاحببت ان اعرف**) فكأن هذا الوجود هو المعلوم المجهول اي المجهول من حيث الحقيقة و الادراك و المعلوم من حيث التجليات و الظهور بالمظاهر كما قدمنا قال عليه السلام (**سبحانك لا احصي ثناء عليك**) اي لا ابلغ كل ما فيك و قال (**ما عرفناك حق معرفتك**) و قال تعالى (**و ما قدروا الله حق قدره**) ثم لما كان لهذا الوجود المحق الاعتبار ان السابقات اي اعتبار حضرة الاطلاق الحقيقي من حيث احديته و عدم العلم به و اعتبار حضرة التقييد من حيث واحديته و العلم به من حيث مظاهره و تجلياته الدالة عليه بانه لا اله الاّ هو توهم من توهم من هذين الاعتبارين ان الوجود كله طبيعي عند القوم لا وجود له الاّ بوجود افراده و رتبوا على ذلك لوازم باطلة تخل بالتوحيد و هذا التوهم مدفوع كما بينا من ان له الوجود الخارجي على كلا الحالين الاّ انه في الحالة الاولى لم يعلم اصلا الاّ بدلالة الرسل عليه و لا يلزم من عدم العلم بالشئ عدم ذلك الشئ في الواقع مسألة قولهم ان الوجود من حيث هو هو هو الحق اي يعبرون عنه تعالى بهذا الوجود حيث لم يكن شئ ترجع اليه كل الاشياء

في جميع مراتبها الاّ هذا الوجود المطلق عن كل قيد حتى عن قيد الاطلاق فانه تقييد له و هو ايضا المتقيد بكل قيد اي من حيث التجلي و الظهور كما مر ثم ليعلم ان ادراك علم التصوف يكون باحد طريقين الطريق الاول و هو الاعلى هو الذوق و الحصول بالنفث في الروع و الثاني يكون بالاخذ من الكتب المدونة للقوم اما بالفتح الالهي او بتعليم شيخ عالم به او ذايق و هذا الوجه يعد من الكشف كما ذكره حضرة الشيخ في فتوحاته المكية و لا خفاء فيه لانه علم و العلم صفة تنكشف بها المعلومات و قد امر رضى الله عنه هو و غيره من سادات القوم بمطالعة كتبهم المتهئ لفهمها على وجهها و مؤمن بها و اما نهي بعض المشايخ لبعض تلامذته عن مطالعتها فاما لعدم اهليته فخوفا على زيغ عقيدته نهاه عنها او لانه يشغله ذلك عما امره به من الاوراد حالة السلوك فهو انفع له من غيره كما ذكره سيدي العارف النابلسي في شرح ديوان ابن الفارض [عمر ابن الفارض توفى سنة ٦٣٦ هـ. [١٢٣٨ م.] في القاهرة] و غيره و الطريق الاول عليه المعول فان الطريق الثاني لا يخلو عن خبط و حيرة ثم ان اهل الكشف و الشهود لما رأوا الحال على ما هو عليه في الامر الالهي عبروا عنه بالفاظ كيفما اتفق و لم يتحاشوا عما يرد على ظواهرها كقولهم ان الحق تعالى هو الوجود من حيث هو هو فأنّهم بالمشاهدة و العيان رأوا ان الحق تعالى الواجب الوجود هو الذي قامت به السموات و الارض و ما بينهما بل هو قيوم كل شئ فلم يروا شيئا يعم هذا الامر و يناسبه الاّ الوجود المنزه عن كل قيد فعبروا عنه بهذا اللفظ و كقولهم عند ما رأوا انه تعالى لا يخلو شئ عنه ان العارف لا يكون عارفا حتى يرى هوية الحق سارية في كل شئ اي بلا سريان بعد فناء كل شئ في العيان و من هنا قال الصديق الاكبر رضى الله عنه ما رأيت شيئا الاّ و رأيت الله قبله او بعده او فيه كما نقل عنه ذلك ثقات هذه الطائفة و هذا بظاهره حلول كما ان الاول بظاهره صفة و امر اعتباري و كقول الشيخ الاكبر عند ما رأى ان كلّ شئ لابد و ان يرجع بباطنه الى الحق شعرا

الرب حق و العبد حق * ياليت شعري من المكلف

ان قلت عبد فذاك ميت * او قلت رب انى يكلف

و هذا بظاهره اتحاد و شرك فبهذا و امثاله غلط مَنْ غلط و هم قسمان متصوفة مشغوفون بمطالعة كتب القوم و يتكلمون بما يتكلمون به و هم جهلة لا يدرون مبادي العلم فضلا عن مقاصده و يزعمون انهم على الحاصل و هم على الفائت و هؤلاء هم الجهلة المارقون من الدين يصدق عليهم قوله تعالى (**أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ**

هُمْ اَضَلُّ * الاعراف: ١٧٩) و مثل هؤلاء يكونون علة غائية للتكلم و الاعتراض على القوم و القسم الثاني من هو من اهل العلم الاّ انهم ليس لهم هذا المشرب العذب فيسمع كلاما ظاهره الحلول او الاتحاد او انه مخالف لظاهر الشريعة في الجملة فيقول على القوم بحسب ما ظهر له من كلامهم انهم حلولية او اتحادية او اباحية او وجودية او زنادقة و حاشا مقامهم من ذلك و من العلماء من التزم الادب معهم و سكت و وكل العلم في شأن كلامهم اليه تعالى لعدم احاطة احد بجميع المعلومات و احبهم و سلم لهم و هذا هو المنهج الاسلم و الاول على خطر عظيم و على كل حال فشأن كلامهم الاشارة لا صريح العبارة بل لهم رموز خفية لا تدرك الاّ من طريق الكشف و الذوق الصحيح الاّ انه قد اشتهر فيما بين العلماء باحوال كلامهم ان الممارسة عل مطالعة كتبهم بمحبة و صدق و تسليم لمن له نوع اهلية تورث نوع فتح الهي فيها سيما كتب الشيخ الاكبر رضى الله عنه و ان من شأنهم في تآليفهم ان يفسروا بعض كلامهم السابق بالبعض اللاحق كما يقول الشيخ في فتوحاته و هذا معنى كلامي فيما تقدم كذا و كذا فمن هذا يحصل للمتأمل ادراك الباقي في الجملة و يذهب منه ما توهمه اولا فأنهم رضى الله عنهم ما تكلموا في كتبهم بشئ قد احاله العقل السليم او خالف الطريق المستقيم و مرجع كلماتهم للعلم اللدني الوارد في القرآن و السنة يظهر لمن فتح الله عين بصيرته و كان له قلب او القى السمع و هو شهيد كما ذكره الشيخ في الفتوحات و غيرها و انما يحجب فهمها عن غير هذين القسمين من اهل الحجاب و الفهم السقيم او عن منكر اساء الظن بهم فصاحب القلب و العين و العقل السليم او صاحب احدهما هو الذي يسقى من رحيق كلامهم المختوم و يتنافس في درر مبانيه و جواهر معانيه فانه ايمان صرف و عبودية خالصة سيما عبارات الشيخ الاكبر و ترجمانه العارف النابلسي

امولاى محي الدين انت الذي بدت * علومك في الآفاق كالغيث اذ همى

فكشفت معنى كل علم مكتم * و اوضحت بالتحقيق ما كان مبهما

و حيث فهمت مما سبق معنى الوجود عندهم الذي هو أهم مسألة في هذا العلم و فهمت معناه عند غيرهم من انه امر كلي طبيعي ظهر لك اختلاف الموضوع و بطلت اللوازم الواردة عليه على ان لازم المذهب ليس بمذهب و اذا اردنا التفصي عن مفردات الاعتراضات و اللوازم و التصدي لردها لخرجنا عن المقصود من بيان الحق و النصيحة للمسلمين و لا تسعه المجلدات ففي هذا القدر كفاية لطالب الهداية او متعرض

لبلوغ الغاية و الله الهادي و عليه اعتمادي * و لنرجع الى نقل بعض الادلة السمعية على اثبات وحدة الوجود الحق و ان ما سواه فان باطل بالنسبة اليه مما ذكره علماء هذا الفن فمنها ما وقع في القرآن العظيم و السنّة المطهرة اما القرآن الكريم فقوله تعالى (**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** * الرحمن: ٢٦) و قوله تعالى (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلاَّ وَجْهَهُ** * القصص: ٨٨) اى وجه الحق المتوجه به على ذلك الشئ و قيومه او وجه الشئ و هو عينه الثابتة في علمه تعالى ازلا و ابدا الغير الموجودة في الخارج على ما قاله رجال هذه الطائفة و هو وجه ظاهر لا تنافيه الشريعة المطهرة و بيانه ان لفظ هالك اسم فاعل و هو حقيقة بالحال كما هو مقرر في موضعه فهلاك الاشياء من حيث هي اشياء حالي و بقاء الوجود ثابت بحكم هذا الاستثناء و قوله تعالى (**قُلِ انْظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَ الْاَرْضِ** * يونس: ١١١) مع قوله تعالى (**وَ هُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَ الْاَرْضِ** * الانعام: ٣) فحقيقة ذلك واحدة و هو الوجود الحق المحيط بها و الظاهر فيها مع كونها معدومة اذ لا يلزم من ظهور الحقيقة الواحدة بصور معدومة متكثرة كثرتها في نفسها و تعددها او انقلابها معدومة او نحو ذلك من حلول او اتحاد كما مثلنا من ظهور صورة الشاخص عند مقابلته للمرآة و كذلك عند مقابلته لجملة مرائي مع التتريه التام و لله المثل الاعلى و الاتيان بغي لضرورة التعبير و اما السنة فمنه قوله عليه الصلاة و السلام اصدق كلمة قالها لبيد (ألا كل شئ ما خلا الله باطل) اي بالنسبة للحق و السنة طافحة بمثل هذا فان قلت يفهم من هذا الكلام المتقدم باجمعه ان الاشياء خيالات و اوهام باطلة لا حقيقة لها و هو مذهب قوم ضالين فالجواب ان هذا راجع الى اصل لابد من بيانه اولا حتى يظهر مرادهم في ذلك و هو ان حقائق الممكنات و ماهياتها عبارة عندهم عن الصور العلمية المسماة بالاعيان الثابتة لثبوتها في العلم و عدم براحها عنه حيث انها لم تشم رائحة الوجود الخارجي فضلا عن كونها موجودة و مجموع هذه الصور هي الحضرة العلمية و هي صور اسمائه تعالى و صفاته و لو شمت هذه الاعيان من رائحة الوجود الخارجي لزم حدوثها و يلزم منه حدوث العلم القديم و هذه الحقائق هي المرائي التي ظهر بها ظل الوجود الحق او هو مرآتها و هي ظهرت به قولان و انما قيل ان ظل الوجود هو الظاهر لا نفسه لان الوجود الحق في مرتبة احديته الازلية لا تعلق له بمظهر ابدا و ظهوره انما يكون باعتبار تجلياته على حسب شؤنه لا باعتبار ذاته فكأن الظاهر ظله لا هو في هذه المرتبة الواحدية و الى هذا الاشارة بقوله تعالى (**اَلَمْ تَرَ اِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** * الفرقان: ٤٥) اي ظل الوجود على الاعيان و لو

شاء لجعله ساكنا اي لا اثر له و لا ظهور فحصل لهذه الاعيان بهذا الامتداد الوجود العلمي فكانت صور اسمائه تعالى و صفاته فهي بباطنها وجود حق و بظاهرها خلق فهي الحق الخلق عندهم قال السيد البكري

الهي باهل الذكر و المشهد الاسما * بمن عرفوا فيك المظاهر بالاسما

ثم ان هذه الحقائق التي امتد عليها ظل الوجود العلمي سألت بلسان حالها الذي هو ابلغ من لسان المقال من حضرة الواجب تعالى ظهور آثارها و كمالاتها الخارجية و ذلك عند استعدادها و قبولها لذلك فرحمها فتجلى اليها بما سألته فافاض عليها من خزانة جوده فالبست آثارها حلل الوجود الخارجي فظهرت به هذا المكون الغيبي و الحسي ظل هذه الاعيان حقائق المكونات و ماهياتها و الى ذلك الاشارة بقوله تعالى (**اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَآ اَرَدْنَاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ** * النحل: ٤٠) فالشئ المأمور المخاطب بقوله كن هو هذه الاعيان و هذه المظاهر الحسية ظلالها قال الشيخ الاكبر بل ثمّ شئ فصار كونا و كان غيا فصار عينًا و من هنا قال ايضا انا القرآن و السبع المثاني و روح الروح لا روح الاواني اذا تقرر هذا و فهمته حق الفهم عرفت ان معنى كون المكون عدما محضا او خيالاً معناه انه راجع من هذه الحيثية الى العدم لانعدام حقائقه في الخارج و الراجع الى العدم عدم نعم هو باعتبار ان وراه الوجود الحق حيث ظهر هذا المكون به موجود قطعا لظهوره بظل الوجود الذي انطبع هو به فالمكونات موجودة باعتبار ظهورها في الوجود و معدومة من حيث انفسها فلها الوجود المستعار و اما مذهب القوم الضالين فالمكونات لا وجود لها بحال فبين المذهبين كما بين المشرقين و المغربين و قد اثبت الشيخ الاكبر وجود الاشياء على الوجه المذكور بقوله في خطبة فتوحاته المكية الحمد لله الذي اوجد الاشياء عن عدم و عدمه فافهم فظهر من هذا و ما قبله ان اهل الله تعالى تارة يقولون ان العالم هو الحق و لا تنسى المراد منه و تارة يقولون انه عدم و تارة يقولون هو موجود و غير الحق على حسب اعتباراتهم فيه و فيما ذكر الاشارة بقوله تعالى (**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَاِذَا هُوَ زَاهِقٌ** * الانبياء: ١٨) فالمكونات حق و باطل و الحق كل آن يدفع الباطل فيزول ثم يأتي اخرى بتجل ثان يشبه الاول و هكذا و بسبب المشابهة يحصل اللبس قال تعالى (**بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** * البقرة: ١٨٧) اي التباس لجهلهم بالتجليات الالهية و تجددها و من ادلة السنة ايضا قوله صلى الله عليه و سلم (**كان الله**

و لا شئ معه) فالوجود الحق كائن و لا شئ معه فان للاشياء الثبوت و الظهور لا الوجود مع الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و ان كثيرا من العلماء صرحوا بالفرق في معنى الوجود بين اهل الحق و اهل النظر فقالوا ان الوجود عند اهل النظر امر اعتباري عارض للماهيات و قيوم لها فيقول اهل الكشف اللون للخمر فان قلت تعدد الممكنات و تكثرها يفضي الى تكثر الوجود و انقسامه و يناقض القول بوحدته فيجاب عن ذلك بما مثله سيدي الشيخ الاكبر في فصوص الحكم بقوله ان الاعداد المتكثرة المنقسمة في الظاهر هي في الحقيقة عبارة عن الواحد مكررا فلا تعدد و لا انقسام في نفس الامر و هذا التعدد و التكثر و الانقسام انما هو باعتبار ظهور الواحد في مراتب العدد و ذلك ان الواحد في اول مراتب العدد واحد فاذا ظهر في المرتبة الثانية من مراتب الاعداد قيل فيه ثان و هكذا الثالث و الرابع الى ما لا يتناهى فما تكثر الواحد ابدا و لا انقسم و انما ظهر في مراتب حكمت عليه بالكثرة و التعدد من غير ان يكون ثلم لوحدته و متى لم ينقسم العدد لم ينقسم المعدود و هكذا القول بالوجود الحق فانه شئ واحد ظهر عند تجليه في مظاهر اسمائه و صفاته بصورة المتكثر المنقسم من غير ان ينقسم في ذاته {تتمة} تتعلق بالمقام و هي ان الاشعري رحمه الله قد ذهب الى تجدد الامثال في العرض فان العرض لا يبقى زمانين عنده كما هو مقرر و الى ان العالم كله يرجع الى جوهر واحد فيكون ما ذكره قريبا مما ذكره الشيخ رضى الله عنه و متابعوه من القول بوحدة الوجود و تجدد الامثال و ان اختلفا باعتبار ما و قد علمت ان تجدد الامثال تابع لتجدد التجليات قال الله تعالى (**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** * الرحمن: ٢٩) اي كل آن و الله اعلم بما يكون و ما قد كان اشكال ذكر حضرة الشيخ في فتوحاته المكية و في فصوص الحكم ان من عبد شيئا فما عبد الاّ الله و انما كان خطؤه في طريق العبادة حيث لم يؤذن فيها على هذه الطريقة فالجواب عنه انه حيث علم مما تقدم ان الاشياء كلها راجعة بباطنها الى الحق تعالى لانه وجودها القائمة هي به مع قطع النظر عن خصوصياتها و اعتباراتها على ما وضح سابقا و ان العالم من حيث هو عالم غير الحق تعالى قطعا و له العدم و الافتقار الذاتيان له لا يفارقانه بحال من الاحوال كما ان للحق تعالى وجوب الوجود و الغني المطلق لا اله الاّ هو و لا معبود في الحقيقة و نفس الامر سواه و رجوع العالم اليه تعالى من وجه و هو من ورائه بمقتضى قوله تعالى (**وَ اللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ** * البروج: ٢٠) و هو قيوم كل شئ بمقتضى قوله تعالى (**اَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** * الرعد: ٣٣) و

قوله (**اللهُ لا اله الاّ هو الحيّ القَيُّومُ**) صح قوله رضى الله عنه بان من عبد صنما مثلا فما عبد في الحقيقة الاّ الله بشهادة قوله تعالى (**وَ قَضَى رَبُّكَ اَلاَّ تَعْبُدُوا اِلاَّ اِيَّاهُ** * الاسراء: ٢٣) اي حكم لان القضاء معناه الاولى المتبادر الحكم لا الامر على ما ذكره اهل التأويل فان مذهب الشيخ الاخذ بظاهر القرآن و السنة لكونه خطابا للعربي و العجمي و هذا هو مذهب سلف الامة و ائمتها الاربعة و غيرهم ثم نقول لا يلزم مما ذكره الشيخ صحة عبادēم و جواز تقريرها و نفي اشراكهم و لا يقول هو به فانه ذكر في فتوحاته المذكورة ان الله تعالى شرع لنا ان لا نعبده في شئ منها اي المعبودات المجعولة و ان علمنا انه تعالى عينها اي من حيث رجوعها اليه تعالى في وجودها مع قطع النظر عن خصوصياēا كما ذكرنا و عصى من عبده في تلك الصور و حرّم على نفسه المغفرة له فوجبت المؤاخذة في الشرك و لا بد لعدم الاذن من الحق تعالى و صرح ايضا في عدة من كتبه بان عبدة الاوثان كان كفرهم و مؤاخذēم بسبب أĔم ما عبدوا الاّ الصور لان نظرهم لا يقع الاّ عليها فعلم من هذا ان معنى القول بوحدة الوجود الحق على الوجه المذكور غير مخالف للشريعة المطهرة بل هو عينها و لبها و كذا ما كان تابعا لها من مسائل الحقيقة عند التأمل و الفحص و من المعلوم عند كل احد بان كل حقيقة خالفت الشريعة فهي باطلة بلا شك كما ان كل شريعة بلا حقيقة فهي عاطلة و التحقيق đما هو الكمال كما نقل ذلك عن الثقات من الرجال اصحاب القال و الحال و الى الله تعالى المرجع و المآل و علم من ذلك ايضا خطأُ من يطعن على العارف الموما اليه و غيره من رجال هذه الطائفة المباركة و ينسبهم الى الكفر و الاشراك و نحو ذلك فاĔم كلهم على عقيدة سلفية محمدية تلقوها من عين الشريعة بالكشف و العيان بعد الدليل النظري و البرهان فهم و الله الائمة الهادون المهديون و العلماء العاملون المخلصون تبرؤا من الشرك الجلي و الخفي و اتقوا الله فعلمهم من لدنه علما كما قال لم يقف عليه الآخرون فلا يجوز سوء الظن đم و نسبتهم لما هم بريئون منه بصريح كلامهم بمجرد اēامهم مع عدم الوقوف على معاني ما اتوا به من العلم اللدني و الكشف اليقيني من حقائق التوحيد المبرهن عليه بالادلة السمعية و احوال الارادة و التجريد الجارية على الطريقة المرضية قال الله تعالى (**وَ لاَ تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ اِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ اُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً** * الاسراء: ٣٦) شعرًا

و اذا لم ترَ الهلالَ فسلم * لاناس رأوه بالابصار

و لا يجوز الخوض فيما ذهبوا اليه سيما من اهل هذا الزمان القليل الخير الكثير الفساد على اهله فيه الجهل و اعتقاد السنة بدعة و بالعكس و اكثرهم لا يعرف مبادي العلوم فضلا عن مقاصدها كهذه الفرقة الوهابية فانهم يتظاهرون بالاعتراض على القوم مقلدين للبعض عن جهل منهم بكلام الفريقين و بانه لا يجوز التكلم و الاعتراض على اربابها و لا تقليد من تكلم و لا متابعته سيما و قد اتضحت مقاصدهم فيما وقع في كلامهم مما يوجب الاعتراض على اربابها و مخالفة الشرع و من المعلوم انه لا يجوز ذم احد على كلام صدر منه و له محمل حسن او صحيح و لو الى سبعين وجها سيما من مثل هؤلاء السادة الاخيار الحافظين لحدود الله و المتابعين لاثر خاتم النبيين عليه الصلاة و السلام و القدم بالقدم في قاله و حاله و حقيقة امره و قد استقامت احوالهم و زكت نفوسهم و ثبتت كراماتهم و علت درجاتهم و صارت حقيقتهم عين شريعتهم كما هو في نفس الامر كذلك فرضى الله عنهم و رضوا عنه شعرًا

و ما عليّ اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن الحق عدوانا

و الله و الله و الله العظيم و من * اقامه حجة للدين برهانا

ان الذي قلت بعض من مناقبهم * ما زدت الاّ لعلّي زدت نقصانا

و لو بسطنا القول على مسائل هذا العلم الشريف و احوال اهله لا تسعه المجلدات فاختصرنا على بيان هذه المسألة التي هي من امهات مسائله و على نزر قليل من توابعها لكونها منشأ الاعتراضات الواردة بحسب الظاهر على القائلين بها فليقس غيرها عليها في الاحقية و من اراد الاطلاع فليفحص بقبول و اذعان و انصاف من الكتب المدونة في ذلك يقضي وطره و يقف على البيان الشافي و يسلم للقوم علومهم ان كان من المهتدين و الاّ فيردّ الى اسفل سافلين و من لم يجعل الله نورا فما له من نور و الى الله المرجع في كل الامور و لنختم كلامنا بوصية ذكرها سيدي الشيخ الاكبر في ضمن وصايا القول من كتاب الوصايا و هو آخر ابواب الفتوحات المكية بقوله قالت عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها خلال المكارم عشر تكون في الرجل و لا تكون في ابنه و تكون في العبد و لا تكون في سيده صدق الحديث و صدق الناس و اعطاء السائل و المكافأة بالصنائع و التذمم للجار و مراعاة حق الصاحب و صلة الرحم و قرى الضيف و اداء الأمانة و رأسهن الحيا نسأل الله الكريم المنان ان يخلقنا بها و بكل خلق سني و يجنبنا شرور انفسنا و كل خلق دنى و يرزقنا العفو و العافية في الدين و

الدنيا و الآخرة و لوالدينا و مشايخنا و اولادنا و اهلينا و المسلمين اجمعين آمين جمعها الفقير اليه تعالى مصطفى بن احمد بن حسن الشطي الحنبلي مذهبا و الاثري مشربا تجاوز الله تعالى عنه و عن المسلمين آمين

م